إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم
(ماذا يراعى في لغة الترجمة)

الدكتور/ محمود بن عبدالسلام عزب

مدخل إلى عالم ترجمة معاني القرآن الكريم:

عشت مع القرآن الكريم، وفي عالمه منذ نعومة أظافري في الكُتَّاب، حتى أتممت حفظه في سن الثانية عشرة، وجودت قراءته سنة، ثم رافقت علومه في معاهد الأزهر تسعة أعوام حتى الثانوية الأزهرية. وفي الجامعة شاء الله تعالى أن أتخصص في اللغات السامية، فكانت العربية حاضرة مع علومها وفي صميمها القرآن ولغته وبلاغته، مع دراسة كافية للغات سامية أخرى هي العبرية والآرامية (السريانية) ولم يكن ثمة نص يستحق الدراسة باللغة العبرية قدر ما كان الكتاب المسمى بالمقدس بعهديه القديم بالعبرية والجديد بالسريانية، مدة أربع سنوات جامعية في معهد اللغات والترجمة في جامعة الأزهر.. التي تخرجت فيها سنة ١٩٧٣م، وعينت بها معيدا في قسم الدراسات السامية، ثم أوفدني الأزهر إلى جامعة السوربون بباريس لدراسة هذه اللغات في مرحلة الدكتوراه، فاخترت موضوع "التعريف والتنكير وبناء الجملة في عبرية العهد القديم وعربية القرآن الكريم. دراسة لغوية تركيبية مقارنة".

أولا– ماذا تعني كلمة ترجمة؟

المصطلح: ليس هذا البحث متخصصا في الترجمة فنا أو علما.. وليست هذه مناقشة لتعريفات المعاجم العربية وغير العربية لمصطلح الترجمة، إنما هي إشارة عابرة للتذكرة؛ ولأن الأمر يتعلق بترجمة معاني القرآن الكريم. والترجمة والتفسير مصطلحان مترادفان متداخلان في العربية، وفي الفرنسية كذلك.

فماذا تقول المعاجم العربية عن "الترجمة"؟

يقول ابن منظور في "لسان العرب" : التَّرجُمان والتُرجمان– بفتح التاء وضمها–

المفسر لِلِّسان، وفي حديث هرقل: قال لترجمانه.. والترجمان بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والترجمان: المفسر، وقد ترجمه وترجم عنه" [1]

ويقول الفيروزآبادي في "القاموس المحيط": "الترجمان: المفسر لِلِّسان، وقد ترجمه وعنه". [2]

وجاء في "الصحاح": "يقال: ترجم كلامه إذا فسَّره بلسان آخر، والترجمة: النقل من لغة إلى أخرى". [3]

وفي "متن اللغة": "ترجم كلامه: بَيَّنه وأوضحه، وترجم الكتاب وترجم عنه: فسَّر بلسان آخر، والترجمان: الناقل الكلام من لغة لأخرى والمفسر للسان". [4]

وفي "تاج العروس":"الترجمان" المفسر لِلِّسان وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسَّر كلامه بلسان آخر، وقيل: نقله من لغة إلى أخرى. [5]

وفي "البستان": "ترجم اللسان وترجم عنه ترجمة. فسَّر كلامه بلسان آخر، وترجم الكلام بالعربية: نقله إليها". [6]

وفي "المعجم الوسيط": "وترجم الكلام: بَيَّنه ووضحه، وترجم كلام غيره، وعنه، نقله إلى لغة أخرى". [7]

ولا يكاد المرء يستنتج من كل هذه الإشارات، إلا أن الترجمة نقل من لغة إلى

---

(١) ابن منظور- لسان العرب. ٤٢٦/٢، ط دار المعارف.

(٢) الفيروزآبادي- القاموس المحيط، ١١٤/٤

(٣) الجوهري- الصحاح الجزء الخامس ١٩٢٨م.

(٤) الشيخ أحمد رضا. معجم متن اللغة- ٣٩١/١.

(٥) الزبيدي. تاج العروس ٢/ ٢١١.

(٦) البستان. ١/ ٢٢١ ، ٢٢٢.

(٧) مجمع اللغة العربية في القاهرة- المعجم الوسيط ١/ ٨٣.

لغة أخرى غالبا، وقد تكون البيان والتوضيح، أعني التفسير.

إن الترجمة تعني نقل محتوى النص إلى مستوى آخر داخل لغته الأصلية، وهو ما يطلق عليه"تفسير"، ولكن إشارة المعاجم إليه سريعة. فإذا حاولنا التماس تعريف الترجمة والترجمان بمعنى التفسير والمفسر فعلينا بالحديث النبوي:

"وأما العَيْلةُ، فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه، ثم لَيَقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرْجُمان يترجم له".(1)

ثم نجد في أثر أبي جمرة:

"كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس"(2)

وفي أثر محمد بن الحسن:

"لا بد للحاكم من مترجمين" (3)

وبمناسبة ذكر ابن عباس، تجدر الإشارة إلى أنه كان يسمى"ترجمان القرآن" ويقال: إن "ابن مسعود هو الذي كان يوصف بهذه الصفة". ولا يتصور أن أياً منهما كان يترجم القرآن إلى لغة غير العربية وإنما كان يفسره، ويشرح غريب كلماته باللغة العربية.

فإذا انتقلنا إلى المعاجم الإنجليزية وجدناها تعرف الترجمة على أنها: "عملية تحويل المفردات والتراكيب والعبارات من لغة إلى أخرى مع الحفاظ على المعنى"

كما نجد في الموسوعة العالمية: "يجب على المترجم أن يحلل أولاً النص الأصلي وأن يحدد شكله وماهيته، أي يجب أن يعرف ما إذا كان هذا النص دينيا أم تاريخيا

---

(١) البخاري. كتاب الزكاة. باب الصدقة قبل الرد، ٣/ ٢٨١.

(٢) صحيح البخاري، ك العلم، ب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبدالقيس على أن يحفظوا العلم (٢٢١/١) ح٨٧.

(٣) صحيح البخاري، ك الأحكام، ب ترجمة الحكام (١٨٥/١٣) ح ٧١٩٥.

أم علمياً، وأن يقوم بعد ذلك بتحديد الأسلوب الذي من الواجب اتباعه في الترجمة."[1]

أما موسوعة لاروس الفرنسية، فهي التي تشير صراحة إلى أن كلمة ترجمة قد تعني: "نقل اللفظ أو النص أو اللغة إلى لغة أخرى مع الحفاظ على المعنى، وقد تعني كلمة ترجمة أيضًا إعادة كتابة النص في لغته الأصلية بشكل أوضح"[2].

وهي بذلك تتفق مع لسان العرب والقاموس المحيط، ومع مفهوم الحديث النبوي بأن الترجمة تفسير والمترجم مفسر.

وقبل الدخول إلى عالم القرآن الكريم، ما مفهوم عملية الترجمة؟ إن الترجمة كانت ومازالت همًّا ثقيلا من هموم حركة العقل العلمي في الحضارات والثقافات المختلفة..

إنها عملية خلق أو إبداع فني، تكاد تكون أكثر صعوبة من عملية التأليف أساسًا، لأن المؤلف ابتداء يجد نفسه حرًا في اختيار مفرداته وتراكيبه وأسلوبه، يستطيع أن يعدل عن كلمة إلى أخرى، وأن يترك تركيبا ليرجح آخر، ثم ينقح أسلوبه كما يحلو له. أما المترجم فهو أسير النص الذي يترجمه، مقيد به وبكل ما فيه، لا يحق له أن يبتعد عنه، إذ هو ملتزم بالأمانة. وإذا افترضنا أنه متمكن تمام التمكن أو على درجة منه في لغة النص المترجم، فثمة قيود أخرى تحد من التزامه الكامل بكل أبعاد هذا النص ووجوه تفاصيله في لغته، إذ يجد نفسه أمام اللغة الأخرى، اللغة المتلقية، المترجم إليها. وهي كما يقول المتمرسون في هذا الحقل، حقل الترجمة"لغة سيدة" لا بد أن يتبعها ويلتزم أوامرها ونواهيها... إذ هي التي سيواجه بها القارئ، الذي قد لا يعرف إلاَّ إياها، أو بالأحْرى الذي قد لا يعرف شيئا عن لغة النص

---

(١) Lexicon Universal Encyclopaedia. Vol 2. p 90

(٢) Encyclopédie Larousse. P. 512

الأصلية– اللغة المرسلة– المترجم منها.

إن المترجم يعيش عملية تواصل أو تعانق بين لغتين، أي بين حضارتين وثقافتين تتمايزان في روحيهما ومشاعرهما وانفعالاتهما وسلوكهما.

إنها حقًا لعملية معقدة وشاقة، بل إنها لمعاناة تعصر المترجم عصرًا، حتى قد يجد نفسه مضطرًا لارتكاب درجة من الخيانة لإحدى اللغتين، بل لهما معاً... وربما كان هذا سبب قولهم "كل ترجمة خيانة" فإذا اختار نهجا ونمطًا للترجمة فهو محصور بين صفتين تتجاذبانه، هما الأمانة والجمال.. أمانة الترجمة حيث يجتهد في تحميل النص في اللغة المتلقية، أكثر مما يمكن أن يتحمله النص في اللغة المرسلة.. لغة النص الأصلية، وجمال الترجمة في اللغة المتلقية. وهما لا يتأتيان حقًا.

ولا يستطيع باحث في مثل ما نحن بصدده من مقام أن يحصر كل ما قيل عن الترجمة عند العرب قبل نشأة "دار الحكمة" حتى اليوم، إذ لقيت منهم اهتمامًا كبيرًا ودرسوها دراسة مفصلة، وانتهوا إلى أنها تظل نسبية، ولا يمكن القول فيها بالكمال التام.

وسوف نحاول هنا أن نشير إشارات سريعة إلى آراء بعض علماء العرب، في الترجمة، لغتها وطرائقها ومناهجها وصعوباتها:

أولاً: من القدماء:

١ – نقل بهاء الدين العاملي (١٠٣١ هـ) عن صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤ هـ):

"أن للعرب في ذلك طريقتين: الأولى: أن ينظر المترجم إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينتقل إلى اللغة الأخرى حتى يأتي على جملة ما كان يريد تعريبه. والأخرى: أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه،

ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها".[1]

ثمة مشكلة في كلام الصفدي وهي في عبارته: ينظر المترجم إلى كل كلمة من اللغة اليونانية فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة، وفي عبارته: أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها. إن الصفدي يتصور أن المفردة اليونانية لها مفردة مرادفة، أي تساويها تمامًا في العربية وأن الجملة ستكون لها جملة تطابقها.

فهل تتطابق اللغات؟

قد نجد الإجابة عن هذا السؤال فيما نقله أبو حيان التوحيدي عن نقد السيرافي الدقيق ترجمة يونس بن متى إذ يقول له:

"يجب أن تعلم أن كل لغة من اللغات لا تطابق أي لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها وأسمائها وأفعالها وظروفها، وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعاراتها وتحقيقها".[2]

وسوف نلاحظ أن هذه المشكلة –مشكلة عدم التطابق التام بين اللغات الإنسانية من جميع الوجوه– هي العقبة الكؤود التي تُرْهق مترجم معاني القرآن الكريم المتمكن من أمره عسرا، كما سنحاول أن نبرز ذلك في حينه.

٢ – فإذا وصلنا إلى الجاحظ، وكيف يرى المترجم الذي يجب أن يمسك بمقودي لغتين في وقت واحد، نجده يقول في "كتاب الحيوان" إن "الترجمان لا يؤدي أبدًا ما قال الحكيم على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل... وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقها

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي. فن الترجمة الأدبية ص ٣١ .

(٢) إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ ص ٣١ .١٩٧٦ . ص ٧٠ ، ٧١ . مكتبة الأنجلو مصرية.

وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه، فمتى كان ابن البطريق، وابن ناعمة، وابن قرة، وابن فهريز، وفيفيل، وابن المقفع مثل أرسطا طاليس؟ ومتى كان خالد[1] مثل أفلاطون؟"[2].

نستنتج من مجمل كلام هؤلاء أن إشكال الترجمة، أية ترجمة يكمن في نقطتين أساسيتين متداخلتين وهما:

١- استحالة تطابق اللغات، أي استحالة تطابق اللغة المرسلة المترجم عنها مع اللغة المتلقية أي المترجم إليها في كل أبعادها وخصائصها.

٢- استحالة تطابق المترجم مع المؤلف مبدع النص الأول ومنتجه.

ولا بد أن نلمح هنا -ونحن مازلنا لم ندخل بعد إلى عالم ترجمة معاني القرآن الكريم- إلى عدة ملاحظات، عما ورد في كلام الزيات وعزام وغيرهما، وهي ملاحظات ذات مغزى كبير أهمها:

- مسألة نفوذ المترجم إلى روح الكاتب، أي المؤلف أو المبدع القاص أو الشاعر: فكيف بروح القرآن الكريم وهو ليس كتابة ولا إبداعًا بشرياً، ولا قصًا ولا شعرًا ؟!

- وكيف باندماج المترجم فيمن يترجم عنه؟ اندماج مَنْ بمن؟ أو بماذا ؟ وكيف يشعر به، بقلبه، وينظر بعينه وينطق بلسانه؟

- وما حدود اللسان القرآني حتى نطالب المترجم بالدخول إليها وإدراك محيطها وأبعادها ؟

- ثم كيف يمكن التوفيق بين شيء من أعماق هذه العربية القرآنية وهي لغة

---

(١) يقصد: خالد بن يزيد بن معاوية.

(٢) الجاحظ. كتاب الحيوان. ١/٧٥ ، ٧٦ .

خاصة غاية الخصوص! وبين لغة كالفرنسية أو العبرية (اللتين اطلعنا على الترجمات فيها) في مجال المفردات، وما تعني من مفاتيح حضارية نتاج تاريخ اللغة الطويل؟ وما تحمله المفردة من حيوية خاصة، بإيحائها في لغتها وفي سياقها؟ ثم في مجال تأليف الجملة وتركيبها، ثم في نظم أساليبها وبلاغتها وألوانها وظلالها وحركتها في تصوير البيئة والطبيعة والنفسية؟!

ثانيا: القرآن الكريم وترجمة معانيه

بناء على ما ذكر من أن الترجمة والتفسير متداخلان في تعريفهما، وبناء على أن المترجم مفسر، والمفسر مترجم، لا بد لنا أن نشير إلى أن القرآن الكريم كتاب الله وكلامه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت: ٤٢) تَحَدَّدَ نصه، وكمُل، ووضحت معالمه قبل مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم للدنيا، ولكن تفاسيره وشروحه ودراساته بدأت منذ نزوله، ولم تنته ولم تغلق حتى يومنا هذا، بل حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

وهو منذ لحظة الوحي به، وإلى أبد الآبدين لن يتوقف عن الهدى والعطاء: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ (الكهف: ١٠٩) ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ (لقمان: ٢٧). هذه معجزته، أو هذا هو جانب من جوانب إعجازه، وهو اتساعه وصلاحه لكل جوانب الحياة مع اتساع الزمان والمكان وتفاوتهما

وتغايرهما.

والقرآن حمَّال أوجه، أو هو كما قال علي رضي الله عنه: "إنما هو سطر بين دفتين لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال"[1]

وقد اجتهد المفسرون، ومازالوا يجتهدون في محاولات الغوص إلى بعض أعماق بحره، وأنَّى لهم؟ وهم مقيدون بمستوى علمهم، ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ (يوسف:٧٦) ومقيدون بظروف عصورهم ومعطيات الحياة في مجتمعاتهم وبيئاتهم، ولا بد أن تستمر محاولاتهم وتتكرر، ما دامت شؤون الحياة الدنيا والعقل الإنساني في حالة حركة لا تنتهي، وهم إن اجتهدوا فأصابوا نالوا أجرين، وإن اجتهدوا فأخطؤوا نالوا أجرًا واحدًا.

أفلا يحق ذلك للمترجمين المفسرين بلغات أخرى غير العربية، إذ هم يحاولون التماس توضيح ما يمكنهم من بعض ما يجود به القرآن؟!

بلى إن هؤلاء وأولئك حين يصيبون يساعدون أممهم وشعوبهم على التماس سبل الهداية من الأبواب الصحيحة للقرآن، وحين يخطئون فهم لا يضرون القرآن، ولن يضروه ولن يشوهوه، بل هم يسيئون إلى عقولهم وعقول شعوبهم، وهم يضرونها بدرجات متفاوتة.

وكما تموت التفاسير الضعيفة، أو يخبو ضوءها أو ينتهي، فكذلك الترجمات الضعيفة والسيئة، سواء أكانت عن عمد أم عن خطأ، فهي تضيع في زوايا الإهمال والنسيان، لأنها ضد قوانين الأشياء، وضد أصول العلم الذي يطمح إلى التقدم والتصحيح ويطمح في الوصول إلى درجة من اليقين القائم على أسس من العقل القويم. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

(١) الطبري. تاريخ الرسل والملوك.. ٥/ ٦٦ . دار المعارف – ١٩٧٩م.

فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ (الرعد: ١٧).

و كما أن التفسير لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يبلغ درجة ما في القرآن في وجه من وجوهه، فكذلك الترجمة لن يمكنها قط أن تبلغ مستوى النص الأصلي العربي للقرآن المبين. ولكن هذا لن يقف قط عقبة أمام توجُّه هؤلاء وأولئك المستمر والدائب لمحاولة الوصول إلى أقصى درجة من القرب من النص الكريم.

ومن يحاول التعرض لترجمة معاني القرآن الكريم لا بد أن يحيط علمًا بكل أبعاد هذه الإشكالية، ومن جوانبها العديدة:

- الجانب التاريخي، أي ماكتب عنه، من جواز الترجمة أو تحريمها شرعًا، وهل كان ذلك خاصا بتلاوة المترجم في الصلاة، أو بتلاوته عمومًا؟ وفي ذلك تفاصيل كثيرة ودقيقة كتبها الأئمة والفقهاء والمترجمون والباحثون، منذ صدر الإسلام، أو منذ ظهور حركة الترجمة في العصر العباسي. ثم عادت المشكلة إلى الظهور بشكل أكثر حدة في الثلاثينيات من القرن العشرين، ودارت معركة حامية بين جانب القول بالرفض والتحريم، وجانب القول بجواز الترجمة بل بضرورتها، وانجلت المعركة بفوز القائلين بالجواز أو بحتميته.

ويمكننا أن ننقل ما انتهى إليه قول عالمين كبيرين ممن أفاضوا في ذلك الحديث، وهما الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر في ذلك الوقت، ومحمد فريد وجدي.

يقول محمد فريد وجدي: "إن وضع القيود غير المعقولة في مسألة نقل القرآن يقضي عليه بهزيمة منكرة، تقع نتائجها علينا وعلى أعقابنا قروناً طويلة، ومعناه صدُّه عن الجولان في الدورة الفكرية العالمية مع غيره من كتب الأديان

السابقة. وإن كل ما يخشى منه أن يوكل البتَّ في هذا الشأن لمن لا يعرفون لغات أجنبية، فيخيل إليهم أنها لغات بربرية، تخلو من الزخارف اللفظية والمعنوية التي لا توجد إلا في العربية.

وإن تعطيل القرآن عن الترجمة الحرفية والزج به في معترك الأفهام إلى اليوم قضى عليه ألا يكسب أنصارًا من الأمم الغربية، فصار مقصورًا على الأمم الشرقية التي رضيت أن يكون حظها من دينها كحظ الببغاء. ولا يعقل أن توجد أداة لنشر الإسلام تضارع القرآن، وليس في قدرة البشر أن يبتكروا أسلوبًا كأسلوبه لجذب العقول والأرواح".[1]

وأما رأي الشيخ المراغي فهو يقوم على آراء كبار السابقين من علماء الإسلام، وعلى رأسهم الإمام أبو إسحاق الشاطبي. يقول المراغي: "أثبت الشاطبي جواز الترجمة وإمكانها بقوله: إن أهل الإسلام أجمعوا على جواز تفسيره للعامة، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته".[2]

والجدير بالذكر أن المراغي نقل من آراء الشاطبي ما يمس الجانب التقني، الذي يمس فيما يمس البعد اللغوي، وسوف نذكر شيئًا منه في موضعه.

ثالثا: خصوصية لغة القرآن.

يقول الشيخ المراغي: "يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النظم العربي إلى قراءة إحدى الترجمات، ولا يمكن الادعاء بأن النظم العربي يؤثر، وتكون له لذة وطلاوة عند جاوي أو فارسي أو تركي، أو صيني لا يفهم العربية، فالأمم الإسلامية التي لا تفهم العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربي، حتى تكون قراءة الترجمات مانعة عنهم هذه الطلاوة

---

(١)محمد فريد وجدي. الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن ص ١٦-٢١، ١٩٣٦ م.

(٢)محمد مصطفى المراغي. بحث في ترجمة القرآن وأحكامها. مطبعة الرغائب. ١٩٣٦م .

وهذا التأثير، وعلى العكس فإن قراءة الترجمات تجعلهم يحصلون على طلاوة المعاني ولذتها وتأثيرها"[١]

وأما الجانب الآخر: جانب الدلالات، والمعاني فلا بد أن يظل في متناول العلماء والعقلاء من البشر، إذ إن القرآن في معانيه ونواهيه وأوامره وتشريعاته متوجه للبشر جميعًا، كما يقول ويكرر هو ذاته عن نفسه.

وتنقسم الدلالات إلى أصلية وتابعة، وعن هذه الأخيرة وترجمتها يقول المراغي: "إن الادعاء بأن القرآن الكريم كله لا يمكن ترجمته لأنه معجز، ادعاء خاطئ، بل الحق أن يقال: إنه يمكن ترجمته من ناحية الدلالات الأصلية، ويستحيل ترجمته من ناحية الدلالات التابعة".[٢]

وإذا كان ما قاله المراغي رأيا له –أو نقلا عن الشاطبي وغيره– قد ورد في سياق حوار ساخن– كما سبق أن ذكرنا– وصل إلى درجة معركة حامية حول الجانب الشرعي من مشكلة الترجمة، هل تجوز شرعًا أو لا؟ نجد أنفسنا اليوم في حاجة ماسة إلى استرجاع كل ما قاله هو وغيره من علماء الإسلام، لندخل به حوارًا ساخنًا من نوع آخر، يتعلق أولاً وأخيرًا بالجوانب التقنية للترجمة... ما يمكن ترجمته، وما لا يمكن، أو يقرب إلى درجة قريبة من الاستحالة، وما سنحاول حصره أو تصنيفه حتى يتبين القارئ مواضع الصعوبة فيتوخَّى الحذر، ويتوقى الزلل ويأخذ الترجمة بعين النسبية، ويحكم على درجة القرب أو البعد التي يصل إليها المترجم خلال عمله.

وبما أننا لا ننتظر قط من عربي عارف بأصول اللسان العربي ومداخله ومخارجه وأساليبه وبلاغته أن يقرأ القرآن بلغة أعجمية، اللهم إلا للدراسة

---

(١) المراغي. مرجع سابق ص ١٦ .

(٢) المراغي. مرجع سابق ص ٦ ، ٧ .

والبحث، يجب علينا أن ننظر إلى الترجمة على أنها موجهة للأعاجم، أو من يسمون بالأجانب من غير أهل العربية. وهؤلاء الأعاجم بينهم اليوم عدد ضخم من المسلمين، وأعداد أكبر من غير المسلمين، وهؤلاء وأولئك هم الذين نقصدهم ونتحدث عنهم -مع الشيخ المراغي- وعن علاقتهم بالقرآن وبإعجازه، فيما يخص قضية ترجمة معانيه: "وأريد الآن أن أقول إن قراءة الأعاجم للنظم العربي لا تدلهم على الإعجاز، فليس في استطاعتهم فهمه".[١]

بل إنه يذهب، ونذهب معه إلى حقيقة أليمة، ولكنها صارت واقعاً، وهي أن العرب أنفسهم ورثة لسان البيان والفصاحة، وحملة القرآن البليغ الفصيح المعجز لم يعودوا- في أغلبهم- قادرين على تذوق الإعجاز من جانب النظم العربي، ثم يقول: "والأمم العربية الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربي. وقد انقضى عصر الذين أدركوا الإعجاز عن طريق الذوق وآمنوا بالقرآن بسبب هذا الإدراك".[٢]

ونحن لا نخشى إذن- خارج قضية الإعجاز من النظم- أن يستحيل على المترجم أن يجتهد في تحصيل المعاني الأصلية، ثم يقول: "وقد كنا نخاف لو أن الترجمة أذهبت من النص العربي علومه وأسراره، ولكنها باقية معه للأمم العربية، ولمن يريد من الأمم الأعجمية أن يقرأ النص العربي. وأيضا فإن العلوم الطبيعية، والتاريخية والفلسفية غير مرتبطة بالألفاظ، بل هي مرتبطة بمعانيه".[٣]

رابعًا: لغة الترجمة متوقفة على لغة الجمهور المتلقي

إن بلدًا مثل فرنسا، فيه ما يزيد على خمسين مليونا من البشر، فيهم نسبة

---

(١) المراغي. مرجع سابق ص ١٠ ، ١١ .

(٢) المراغي. مرجع سابق. ص ١٠ ، ١١

(٣) المراغي. مرجع سابق ص ١٠ ، ١١.

من الأمية قليلة جدًا، ولكنها موجودة على أي حال، والأغلبية الكبرى ممن يعرفون الكتابة، وممن تلّقوا تعليماً جامعياً عالياً من مثقفين وعلماء وباحثين ومفكرين ورجال إعلام وصحافة وأساتذة جامعات... كل هؤلاء ليسوا على مستوى ثقافي ولا معرفي واحد..

ثم هناك طلاب جامعات تخصصوا في العربية وعلوم الإسلام.. ولحديث أقسام العربية وعلومها والإسلام وحضارته في فرنسا موضع آخر سنكتب فيه.

وبعد هذا هناك أربعة ملايين ونصف المليون من المسلمين في فرنسا، وهؤلاء أغلبهم من الأجيال الجديدة للمهاجرين، من أصل مغربي ومن البلاد التي كانت مستعمرات لفرنسا وانتشر فيها اللسان الفرنسي. ومن بين المسلمين في فرنسا ما يربو على المليون من الفرنسيين أصلاً، من أحفاد شارلمان وديكارت، لغتهم الأم هي الفرنسية، دخلوا الإسلام وآمنوا بالقرآن، ومنهم عدد كبير دخل الإسلام من باب القرآن وأكثر هؤلاء يسمون أنفسهم "الفرنسيين المسلمين" وهم كلهم يقرؤون القرآن في ترجمة فرنسية، وعدد أكثر يدخل الإسلام من باب المغرب العربي، وبعضهم يدخله من أبواب أخرى، ويغلب على الداخلين الإسلام من الفرنسيين الآتين من عالم النصرانية أو الإلحاد.

وقد يميل بعضهم إلى قراءة آيات القرآن التي لها صلة بالكتاب المقدس بزعمهم، وعلى الأخص تلك التي تتحدث عن السيدة مريم البتول وابنها السيد المسيح عليه السلام. ومن خلال محاضرات وندوات ودراسات جامعية نجدهم يقرؤون الآيات والسور التي تتحدث عن الأنبياء والرسل الذين ترد أسماؤهم وقصصهم في الكتاب المقدس بزعمهم، وفي العهد القديم والتوراة منه على وجه الخصوص، وهم يضعون نصب أعينهم ما كانوا يعرفون قبل إسلامهم، عن هؤلاء الأنبياء والرسل في الكتاب المقدس.

وأكثر المسلمين الفرنسيين يميلون إلى استفتاء الأساتذة المتخصصين في علوم العربية والإسلام في الجامعات والمعاهد، قبل أن يختاروا شراء ترجمة ما من ترجمات معاني القرآن الكريم.

ومن خلال معاشرة تزيد على عشرين عامًا، أو ما يقارب ربع القرن نستطيع أن نقسم ميل الفرنسيين- مسلمين وغير مسلمين- تجاه الترجمات كما يلي تقريبًا:

١- يميل المسلمون في أغلبهم إلى ترجمة دونيس ماسون التي راجعها وصححها الشيخ صبحي الصالح -رحمه الله- من خلال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في لبنان، وهي ترجمة ذات لغة وسط، أقرب إلى القارئ المتوسط العام.. تتسم بالسهولة، ونوع من المباشرة في اللغة، وعدم التعقيد، ومحاولة التركيز على المعنى العام للجملة القرآنية أو الآية دون تركيز على الجوانب اللفظية أو البلاغية أو الأسلوبية.

٢- يميل أكثر المسلمين ذوي الأصول العربية أو الإسلامية، والذين لديهم- في الغالب- درجة من المعرفة بالإسلام والقرآن إلى قراءة ترجمة الشيخ حميد الله، ولا يخفى أن تلك الترجمة قد روجعت وصححت ونقحت في المملكة العربية السعودية، ويبدو أثر تلك الجهود في درجة من الدقة ومحاولة الالتصاق بالنص القرآني وعدم ترجمة لفظ الجلالة، وإضافة ملاحظات في الحواشي ترجع لبعض التفاسير. والشيخ حميد الله -أطال الله بقاءه- عالم مدقق واع بالكثير من أبعاد القرآن ولغته، وقد عرفناه خلال سني دراستنا في باريس، وله مساهمات عظيمة في الندوات الفرنسية والعالمية حول الإسلام وعلومه، ويقول الكثير من القراء والنقاد: إن ترجمته أميل إلى الحرفية، مما يجعل القارئ الفرنسي الذي لا يعرف اللسان العربي المبين قد يشعر ببعض الصعوبات في فهم بعض التراكيب

أو بعض الجمل والعبارات؛ بسبب حرص المترجم على تحقيق درجة من الالتصاق- ما أمكن- بدقائق النص القرآني.

٣- يفضِّل عدد أقل من السابقين -مسلمين وغير مسلمين- قراءة ترجمة الشيخ حمزة أبي بكر إمام جامع باريس السابق (ووالد الإمام الحالي دليل أبي بكر)، وهي ترجمة تركز على تتبع التفاسير، أي أنها فعلاً تفسيرية أكثر منها مباشرة مع النص القرآني الكريم أو التصاقًا به... وهي لم تطبع- على حد علمنا- إلا في طبعات أنيقة على ورق مصقول ثقيل، وبغلاف ثمين، ولذا فهي غالية الثمن وغير متاحة إلاَّ لنوعية خاصة من القراء من الناحية المالية والقدرة الشرائية العالية. وهي من الترجمات التي لم نقرأها حتى الآن قراءة كاملة بهدف الدراسة، ونتمنى أن يكون ذلك قريباً.

٤- ما زال عدد قليل آخر يقرأ ترجمة ريجيس بلاشير، وقد كان مستعربًا كبيرًا، ومن المعدودين في فرنسا، ومن أكبر علماء العربية لغة وأدبًا، وكان قد أعد رسالته للدكتوراه عن المتنبي وشعره، وترجم أشعارًا كثيرة له إلى اللغة الفرنسية، ومازالت من أهم المراجع في هذا المجال. وقد تخرج عليه عدد كبير من الدارسين العرب الذين كتبوا رسائلهم في جامعات باريس. وقد كان يحاول الاهتمام بالجانب الأدبي من بين جوانب اللغة القرآنية.

ولغة ريجيس بلاشير في ترجمته إذن على درجة كبيرة من الرصانة والصحة والأسلوب الجيد، وإن كانت ترجمته شأن سائر الترجمات لا تخلو من عيوب وأخطاء نحوية على وجه الخصوص، وقد كنا اكتشفنا بعض ذلك مبكرًا في زمن دراستنا للدكتوراه ١٩٧٦م- ١٩٨٧م، ولعل هذه الترجمة ومشاكلها كانت من أهم الأسباب الأولية للتوجه نحو الاهتمام بقراءة الترجمات الفرنسية لمعاني القرآن الكريم قراءة لغوية متفحصة.

٥- ثمة ترجمة تراجعت قراءتها كثيرًا، أو كادت تتلاشى ويتلاشى الحديث عنها، وهي ترجمة كازيمير سكي.. وكان مستعربًا كبيرًا له كتب في العربية، وترك معجمًا كبيرًا من مجلدين كبيرين للعربية الفصحى والقديمة، ولاسيما المسماة في فرنسا l'arabe classique وهذا المعجم العربي الفرنسي -على بعض عيوبه- من أجود المعاجم العربية الفرنسية حتى الآن.

إن ترجمة كازيمر سكي مليئة بالعيوب والأخطاء التي تقترب من درجة الفحش ومن تلك العيوب التي يتفرد بها كازيمر سكي، أنه يدمج آيتين قصيرتين أو أكثر في آية واحدة، كما أنه يقسم كثيرًا من الآيات الطويلة إلى أكثر من آيتين.. وهذا عيب خطير ومخلّ، يضلل القارئ الباحث الذي قد يبغي الاستشهاد بآية قرآنية، فلن يجدها في مكانها الصحيح من السورة... ناهيك عن إضرار غير مقبول قط من ناحية دينية؛ فإن عدد آيات السورة وترتيبها وارد باتفاق وتواتر منذ عهد النبوة وحتى اليوم.

ولم نجد من نهج هذا النهج من المترجمين إلاَّ مترجمًا عبريا واحدًا هو "يوسف ريبلين" الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى لغته العبرية منذ أربعينيات القرن الماضي، ورغم أنه وضع مقدمة يشير فيها إلى احترامه للقرآن الكريم ورغبته في ترجمة له قريبة من روحه(ومن الروح السامية) إلاَّ أنه وقع في هذا الخطأ الفادح فيما يتعلق بترقيم الآيات، كما أنه أخطأ في مواضع قليلة في فهم بعض الجمل والمفردات، ونسي أو أسقط مفردات هامة، وجملاً لم تترجم أصلاً، وله حواش تحاول ربط القرآن بالتوراة، ولا سيما في آيات قصص الأنبياء ذات الشبه بالقصص التوراتي، لا نتفق معه قط فيها.

إلاَّ أن في الترجمة بعض المزايا، التي قد تأتي بسبب اختياره لغة عبرية ذات أسلوب قريب من أسلوب التوراة نجد فيها الجملة الفعلية بجوار الجملة الاسمية،

مما لا تتمتع به اللغات الهندوأوربية، وهو خاص باللغات السامية. وكذلك تقترب مواضع الظروف وأماكنها في التركيب، وكثيرًا ما يتقدم الخبر على المبتدأ، أو يتصدر المفعول الجملة أو يتقدم على الفاعل، وكل ذلك يمكن المترجم من الحفاظ على نسق التركيب القرآني- قدر الإمكان- في الترجمة ذاتها. ثم إن هناك مفردات عبرية مطابقة للمفردات العربية- وتلك ظاهرة سامية عامة- إلاّ أن هذا التشابه القريب من التطابق على مستوى المفردات قد يحدث فخاخا يسقط فيها المترجم، ويضلل بها القارئ، إذ إن تقارب الجذور والكلمات في النطق، لا يقول عادة بالتقارب أو التطابق في المعنى، فقد تكون الكلمة العربية والكلمة العبرية شبه المطابقة لها في النطق بعيدة عنها في المعنى بُعْدَ ما بين العموم والخصوص المطلق أو الوجهي أو ما يشبه ذلك، فالفعل "هلك" يطابق الفعل العربي ولكنه في العبرية يعني مجرد الذهاب، أما في العربية فهو الموت أو الهلاك، أو أكثر من ذلك.. ومثل ذلك يقال في كلمة "لحم" فهي في العبرية الخبز، أو كل ما يؤكل، وهي في العربية ذات معنى أخص كثيرًا.

إن الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم قليلة العدد، وقراؤها أقل، وهي قد لا تهم المسلمين في العالم، إذ لا يوجد فرد واحد مسلم يتخذ العبرية كأنها لغته الأم[1]. بل إن القليل النادر من غير المسلمين في العالم من يتكلم العبرية لغة أمّاً، وغالب من يتحدث بها هم يهود العالم. ولكن بعض الباحثين والدارسين العرب المسلمين قد يتخذونها في دراساتهم وبحوثهم كذلك، وهؤلاء يجب أن ينتبهوا لمشاكل هذه الترجمة.

وسوف نحاول ترجمة الدراسة التحليلية النقدية التي نشرناها باللغة الفرنسية، في مجلة الدراسات العبرية في فرنسا وفيها رصد كثير من الأخطاء.

---

(١) هذا الكلام فيه مبالغة؛ فربما يوجد من هداه الله للإسلام ولغته العبرية (اللجنة العلمية).

٦- هناك كذلك ترجمة أندريه شوراكي وهي ترجمة ذات مشاكل جمة، ومن طبيعة خاصة، ولا بد أن نذكر هنا بما أشرنا إليه في الكثير من المناسبات وكثير من المقالات، من أن المترجم الذي كنا قد زودناه بقائمة طويلة من التصحيح والتنبيه على الأخطاء، لم يتبع نصائحنا ولم يطبق تصحيحاتنا...

ومن الجدير بالذكر أن شوراكي يهودي من أصل جزائري عاش طفولته وشبابه بالجزائر، ولكنه لا يجيد العربية الفصحى بدرجة تكفي للتعرض لهذا العمل الضخم وتلك المسؤولية الصعبة مسؤولية ترجمة معاني القرآن الكريم، على عكس الفرنسية التي يكتب بها بلغة عالية دقيقة، إذ تكاد تكون لغته الأم.

ولقد حاول شوراكي الإفادة من معرفته الجيدة باللغة العبرية ومن قراءته وكتابته بها.. ودراساته الدقيقة للتوراة لغة وتفسيرًا فاستغل "المشترك السامي" الذي أشرنا إليه من مفردات مشتركة بين اللغات السامية، وبين العبرية والعربية، وكأن لغة الترجمة عنده تمر بمرحلتين:

- مرحلة ذهنية يترجم خلالها معنى الآية من العربية إلى العبرية.
- ثم مرحلة قلمية يترجم فيها المفهوم الذي توصل إليه باللغة الفرنسية..

ويجدر هنا كذلك أن نشير إلى أنه كان قد ترجم ما يسمونه الكتاب المقدس والعهد القديم منه على وجه الخصوص من العبرية إلى الفرنسية.. وقد استقبله بابا الفاتيكان بهذه المناسبة، ورغم أن ترجمته تلك تحظى بدرجة ما من قبول القارئ الفرنسي العادي، إلاَّ أن الأساتذة والعلماء في الجامعة الفرنسية يتفقون بالإجماع على سوء هذه الترجمة الفرنسية لما يسمونه بالكتاب المقدس.

٧- هناك ترجمة رينيه خوام، وهو راهب يسوعي عاش في مصر وكتب كثيرًا عن الإسلام واللغة العربية، وهي- أي ترجمته- تعد من أحدث الترجمات التي ظهرت بالفرنسية، ولم نقرأها قراءة نقدية حتى الآن فلا يحق لنا أن نطيل

الحديث عنها.

٨- نصل إلى ترجمة جاك بيرك، والتي سماها: "محاولة لترجمة معاني القرآن". وحديثها ذو شجون ففيها الكثير من الجودة والكثير من السوء.. وقد درسناها دراسة مفصلة بتكليف من الإمام السابق للأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله. وكتبنا عنها تقريرًا طويلاً مفصلاً بالأخطاء التي قسمت تقسيما لغويا دقيقا وأرسلت إليه صورة من هذا التقرير وتلك الدراسة، وقد صحح الكثير من الأخطاء، (حوالي مائتي موضع). ونبه على ذلك في الطبعة الثانية. ونحن نتكلم هنا على الترجمة ذاتها، وليس على دراسة بيرك حول القرآن، فهذه تحتاج إلى دراسة دقيقة نرجو أن نتمكن من إنجازها قريباً.

ولقد نشرنا في مجلة "الإسلام في فرنسا" العدد الرابع سنة ١٩٩٨م باللغة الفرنسية ذلك البحث الطويل مع ملف كامل لما وجدنا من أخطاء. وقرأها عدد كبير من أهل الاختصاص، وعقدت حولها ندوات في باريس، وفي الرباط وتونس وطرابلس تكلمنا فيها على الإشكالية عمومًا وعلى لغة بيرك خصوصًا.

كان جاك بيرك (ت ١٩٩٦م) أستاذ العلوم العربية والإسلامية في واحد من أعرق المعاهد في فرنسا، وهو" الكوليج دو فرانس" وكان عضوًا في أكثر من مجمع لغوي عربي، ومنها مجمع القاهرة. وكان مناضلاً ضد سياسة فرنسا الاستعمارية، متعاطفًا بل ملتزماً بنضال شعوب المغرب العربي من أجل الاستقلال، وكثيرًا ما سجنته فرنسا بسبب ذلك.

وكان له مثل ذلك مع قضية فلسطين وشعبها العربي. درس العربية في شبابه في المغرب والجزائر. وقد انقطع ما يقرب من خمسة عشر عاماً من حياته- على حد قوله- لدراسة القرآن وعلومه قبل الإقدام على محاولة ترجمته.

ويتوجه جاك بيرك- الذي ترجم كثيرًا من الشعر العربي القديم إلى اللغة

الفرنسية، ترجمة شهد له فيها بالإجادة- في ترجمته معاني القرآن إلى جمهور خاص، جمهور ذي مستوى معرفي عالٍ باللغة الفرنسية.

وقد حاول أن يشحن لغة الترجمة بشاعرية وأسلوب بليغ، مما جعل كثيرًا من قرائه ومن عرفوه عن قرب، وكثيراً من تلاميذه العرب -الأساتذة في فرنسا- يقولون إنهم يلقون صعوبات في قراءة ترجمته.

وربما يجد القارئ شيئاً ذا جدوى في كتيب رهن النشر في مصر حول "إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم.. دراسة نظرية وتطبيقية"..

وهي دراسة تستند إلى مراجع فرنسية، حول توجهات الاستشراق الجديد، ونقد العقل الغربي لذاته فيما يخص موقفه من الإسلام، ثم دراسة نقدية للترجمة، وأساليب تصحيحها كتبناها في مايو ٢٠٠١م.

خامسا: ماذا يراعى في لغة الترجمة؟

أ- إشكالية مفردات خاصة.

لقد اتفقنا على أن لغة القرآن لغة عربية خاصة بالقرآن، فهو لا يقارن بأي نص من العربية أو من غيرها، ونتفق كذلك على أن الترجمة، أية ترجمة بأية لغة لن تضاهي نص القرآن الكريم، ولذا لن تصل الترجمات إلى درجات الكمال، فالكمال لن يكون إلاّ في النص العربي المبين. ولذا فإن مقولة دارسي الترجمة قديمًا وحديثا ورغبتهم المثالية في محاولة الوصول بالترجمة- الترجمة عمومًا وليس ترجمة معاني القرآن- إلى أن يكون النص الأصلي وترجمته متطابقين لا يمكن أن يتحقق قط فيما يخص ترجمة معاني القرآن، ولذا فإن الشيخ المراغي كان قد اقترح أن نسمي ما نقرأ باللغة الأجنبية: "ترجمة معاني القرآن" وليس ترجمة القرآن، إذ إن هذا لا يعقل والحالة هذه أن يسمى قرآناً في ذاته.

ولذا فإن أكثر المجتهدين في مجال هذه الدراسات حول ترجمة معاني القرآن الكريم قد أصروا على أن تستنبط الأحكام من النص الأصلي العربي وليس من الترجمة، كما أنهم قد أوصوا -كما رأينا من استعراض آرائهم- بأن الترجمة ستتركز على الجهات الأصلية، المعاني الأصلية، وليس الفرعية ولذا تبدو الإجابة عن هذا السؤال: ماذا يراعى في لغة الترجمة؟ إجابة معقدة وبالغة الدقة ولا بد أن تصحبها احتياطات كثيرة أهمها استقراء ملاحظات أهل البيان في كل لغة يترجم إليها القرآن عن موقفهم الشعوري والعقلي والقلبي معًا إذ يقرؤون الترجمة. ولكن هؤلاء ومعهم المثقفون من القراء،مهما كان موقفهم من قبول الترجمة أو رفضها ودرجات القبول والرفض فلن يتسنى لهم أن يحكموا ما داموا لم يقرؤوا النص العربي، ولم يعرفوا وجوه إعجازه، ولن يستطيع أن يتصدى لتحديد درجة

الترجمة من الجودة أو الرداءة إلاّ عالم مزدوج اللغة ضليع في كلتا اللغتين عربية القرآن، ولغة الترجمة على قدم وساق.

ولكن لا بد هنا أن نحدد ما المقصود بعبارة "لغة الترجمة"؟ ولا بد أن نحاول حصرها أو رسم حدود لها حتى يمكن الكلام عليها، ورسم هذه الحدود يتطلب منا التمييز بين جهتين في نص القرآن العربي المبين سبق أن أشرنا إليهما، وقد حددهما الشاطبي في "الموافقات" إذ يقول: "للغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة على معان نظران: أحدهما: من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية. والثاني: من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة وهي الدلالة التابعة"(١)

وقد اتفقنا معه على أن الأولى هي الجهة التي تشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، فلا تختص بأمة دون أخرى، وأن الجهة الثانية تختص باللسان العربي، وهي تكمن في الجانب البلاغي، وهي أكبر مدار للإعجاز، وتلك هي التي لا يمكن أن تترجم حسب قول الشاطبي ويتفق معه في ذلك ابن قتيبة.

ومعنى قول هؤلاء أنه لن يترجم القرآن كاملاً قط أو أنه لن يترجم منه إلا جانب الدلالات الأصلية، جانب المعاني التي تشترك فيها جميع الألسنة، ولا تختص بها أمة دون أخرى، فهل سننبه القارئ دائما على أنه لن يجد في الترجمة كل ما في القرآن، بل بعضه؟ وإذا كان لا يعرف اللسان العربي، فأين سيجد هذا البعض الآخر؟

وخصوصيات اللسان العربي لا تكمن في جانب التركيب والبلاغة وحدهما مدار الإعجاز، بل قد يتطرق ذلك إلى عالم مفردات اللغة، فإذا كان في العربية

---

(١) المراغي. مرجع سابق. ص ٦ ، ٧ .

مفردات عامة لها ما قد يوازيها في مفردات اللغات البشرية مما هو عام بين الأمم وألسنتها، فإن كثيراً من مفردات عربية القرآن قد يستعصي على ذلك. أي قد لا يجد ما يوازيه في اللغات الإنسانية كلها، فبعض مفردات القرآن يعد مفاتيح حضارة العرب، يعكس صور تقاليد عربية بحتة تجاه الطبيعة، وتجاه نمط الحياة العربية قبل الإسلام وإبان نزول الوحي، وفي كل لغة طائفة من المفردات مفاتيح حضارة اللغة، فدرجات البرودة في بلاد الثلج تتعدد مفرداتها، بما يكون بين كل مفردة وأخرى من فروق دقيقة في المعنى، تتقارب إلى درجة الترادف وما هي مترادفة، والعربية قد لا تجد مفردات دقيقة في مستوى هذه المفردات نفسها من الدقة والفروق.

فإذا وردنا لغة القرآن ومفرداته وجدنا مثل هذا النوع من المفردات التي يصعب أن يوجد ما يوازيها في مفردات اللغات المتلقية المترجم إليها:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ (المائدة: ١٠٣).

انظر معنا إلى هذه المفردات وكيف تعامل معها المترجمون، وكيف تعاملت معهم لغتهم التي ينقلون إليها؟

الكلمات: بحيرة- سائبة- وصيلة- حام.

المترجم	كيف ترجم هذه الكلمات
١-دونيس ماسون	آثرت السلامة ولم تشأ أن تحاول ترجمة كلمات لا مقابل لها قط في أية لغة من لغات البشر، وقد رسمتها بالكتابة النطقية Transcription ولم نعثر على أية إشارة في حاشية الصفحة ولا في الملحق المخصص، للتعليق على كل العبارات أو الكلمات ذات الطبيعة الخاصة. ولا ندري كيف رأى مصحح الترجمة ذلك؟ ثم إننا لا ندري كيف يفهم القارئ الفرنسي الذي لا يعرف اللسان العربي المبين هذه المفردات؟
٢- حميد الله	يتفق مع دونيس ماسون في خط الكلمات المذكور بالكتابة النطقية أي الصوتية، وإن كانا لم يتبعا -كلاهما- الكتابة الصوتية الصحيحة الكاملة، وسوف نشير لذلك في نهاية القائمة. ولكن حميد الله وضع حاشية في أسفل الصفحة شرح فيها هذه المفردات الخاصة متفقا مع ما ذكره المفسرون، وهو لا شك أنقذ القارئ من غموض وحيرة أو جهل كان سيقع فيه.
٣- ريفلين (مترجم عبري)	وضع الكلمات بنطقها العربي، ونظراً لوجود الصاد والحاء والحركات الطويلة في حروف العبرية فإن كتابة الكلمات صحيحة. ولكنه في حاشية أسفل الصفحة أشار إلى موقف العرب من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فقال: " البحيرة وغيرها مما ذكر هي أسماء كان العرب يسمون بها من الإبل أو الضأن التي أنجبت لهم، وكانوا يطلقونها ترعى حرة ولا يمسونها، فلا يحملون عليها ولا يذبحونها، وكانوا يعلمونها بعلامات ظاهرة

	تميزها؛ ليدلوا على أنها نذرت لأصنامهم« ولكنه لم يحدد كل مفردة على حدة، فظل شرحه ناقصًا.
٤- جاك بيرك	صور الكلمات- هو كذلك- كتابة صوتية وسجل في حاشية الصفحة قائلا: هذه الأسماء (أو التسميات) الغريبة يقصد بها حيوانات كانت تربى طليقة، لإظهار قوة حيوية عظيمة، والبحيرة هي الناقة التي أنجبت خمسة بطون، والسائبة هي تلك التي كانت مخصصة لخدمة الآلهة، والوصيلة نعجة كانت تنتج توائم، والحام جمل فحل أخصب ست مرات. وقد برئت ساحته من الغموض.

وكانت الكتابة الصحيحة صوتيا حسب النظام المتفق عليه في مثل هذه الحالة:

bah̲īra, sā'iba, was̲īla, h̲ām.

فالحاء h̲ (تحتها خط) والصاد كذلك s̲ ، والحركات الطويلة ā ، ī،ū. فوق كل منها شرطة قصيرة علامة الطول، وإلا نطقت قصيرة.

وملاحظتنا العامة على مثل هذا النوع من المفردات هو أن تكتب داخل ترجمة معنى الآية بالحروف الصوتية كما ذكرنا، إذ هي مفردات ليس لها مقابل قط في لغة غير العربية، ولا حتى في اللغات السامية أخوات العربية، ولذا يجب على المترجم أن يضع حاشية في أسفل الصفحة ذاتها حتى لا يترك القارئ فريسة للغموض وعدم الفهم. ولكن لاحظنا أن بعضهم فعل ذلك وبعضهم لم يفعل، وليس كل من أثبت أوضح كل الإيضاح.

وثمة نوع آخر من المفردات لها فوق معناها المعجمي اللغوي معنى اصطلاحي إسلامي خاص، وذلك مثل: صلاة- زكاة- حج- عمرة- نسك- رفث-

طاغوت– خليفة– فرقان– بينة وبينات– أمر– دين وملة– قبلة– شعائر– فدية.

ولا شك أن لهذه المفردات العربية القرآنية مقابلات في اللغات الأخرى، ما دام للناطقين بهذه اللغات دين ما من الأديان، وفيه عبادات وشرائع وشعائر وطقوس، ولكن مع ذلك، لهذه اللغات دين يحتوي على مفردات قد تبدو كهذه، فإن المترجم كثيرًا ما ينصرف ذهنه فور رؤيته هذه المفردات المصطلحات إلى أن هذه الشعائر الواردة في النص القرآني هي مثل شعائر دينه تماما أو مطابقة لها، ولكن الصلاة في النصرانية، وفي اللغة الفرنسية على وجه الخصوص لها معنى أعم وأشمل من معناها في الإسلام، ولذا فالأفضل للمترجم أن يثبت المفردة بالنطق العربي ويضع بجانبها الكلمة المستعملة في لغته، ثم يضع حاشية ينبه فيها على الفرق ويشرح خصوصية المعنى العربي الإسلامي، ولو مرة واحدة لكل مفردة.. أو أن يضع قائمة عامة في أول الترجمة يوضح فيها كل هذه المفردات الخاصة وفروقها الدقيقة عن المعاني في اللغة الفرنسية أو اللغة المترجم إليها عمومًا. ثم يضع إشارة إحالة في كل مرة ترد فيها الكلمة نفسها بالمعنى نفسه.

وقد طبق حميد الله ذلك فيما يخص كلمة الصلاة، أما دونيس ماسون وجاك بيرك، فلم يفعلا.

وهناك مفردات قرآنية ترد في القرآن الكريم بمعنيين مختلفين حسب السياق، ومنها: الأمانة التنزيل، نَزَّل، أنزل المثل، الصبغة، الكلمة، القبلة.

الأمانة: ترد في القرآن الكريم بمعنيين، أحدهما: الأمانة بالمعنى السائر في اللغة، وهي أن يودع إنسان أخاه أمانة مدة من الزمن، ثم يستردها، وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ (البقرة:٢٨٣)

والآخر: الأمانة ذات المعنى الخاص، والذي اختلف فيه المترجمون، ولا بد أن يختلف عن المعنى العام، وهو الوارد في قوله تعإلى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ولننظر كيف تعامل المترجمون مع "الأمانة" وكذلك: "التنزيل. نزَّل. مثلاً. الأمثال. كلمة. كلمته. قبلة".

المترجم	الترجمـــة
١- دونيس ماسون	الأمانة: le dépôt
٢- حميد الله	الأمانة: la responsabilité، ووضع بجوارها شرحا بين قوسين باللغة الفرنسية، في متن الترجمة: de porter les charges de faire le bien et d'éviter le mal. ومعنى عبارته بالعربية: حمل التكليف بفعل الخير واجتناب الشر.
٣- جاك بيرك	الأمانة: le dépôt. ووضع حاشية أسفل الصفحة مستمدة من تفسير الرازي، وتفسير أبي السعود. ووضع كلمة "التكليف" مكتوبة بالحروف الصوتية، وترجم بجوارها: "الأوامر والنواهي". وكثيرًا ما ينفرد بيرك بذكر المفسرين الذين يرجع إليهم، أو يفضلهم لاختيار الترجمة.

المترجم	الترجمـــة

١- دونيس ماسون	التنزيل: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ (آل عمران:٣). il a fait descendre le livre "نَزَّل الكتاب" حرفية. ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ (الزمر، غافر) la révélation du livre. "ترجمة حرفية" ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ (الأنفال: ١١) et du ciel Il fait descendre sur vous de l'eau.
٢- حميد الله	﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ...... وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ﴾ (آل عمران: ٣ ، ٤). il a fait descendre la révélation ترجمت بمعنى: نَزَّل الوحي، وكذلك في أول سورة غافر. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ et du ciel il fait descendre sur vous de l ‘eau.
٣- جاك بيرك	﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ il a fait descendre sur toi l'écriture ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ la descente de l’écrit ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ il fait descendre sur vous de l'eau du ciel..

المترجم	الترجمـــة
١- دونيس ماسون	مثل- أمثال: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ (البقرة:١٧) ils ressemblent à ceux qui ont allumé un feu = يشبهون... ﴿فَــلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَــالَ﴾ (النحل:٧٤) n 'attribuez donc pas des égaux à Dieu. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ (النحل:٧٥) Dieu propose en parabole
٢- حميد الله	﴿مَــثَلُهُمۡ كَمَثَــلِ ٱلَّذِى ٱسۡــتَوۡقَدَ نَــارًا﴾ ils ressemblent à quelqu'un qui = يشبهون. ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ n'attribuez donc pas à Allah des semblables. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَــثَلًا﴾ Allah propose en parabole

المترجم	الترجمـــة
١- دونيس ماسون	كلمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ﴾ (آل عمران:٤٥) Dieu t'annonce la bonne nouvelle d'un verbe. = كلمة. الترجمة متأثرة بالعهد الجديد في البدء كان الكلمة، يعني المسيح كان الكلمة.

﴿....رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ (النساء ١٧١) le Prophète de Dieu, sa parole مـع حاشـية إحالـة علـى ترجمـة الآيـة السـابقة (آل عمران:٤٥) أي parole = verbe أي أن المعـنى القـرآني يوافـق المعـنى النصـراني في العهـد الجديد.	
"بكلمة منه" une parole de sa part ترجمة مباشرة. ...وكلمته et sa parole ترجمة مباشرة مثل سابقتها. وحاشية تحيل على حاشية عن الآية ٣٩ من السورة نفسها ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي كلمة الله أي أمر الله، إشارة إلى المسيح عيسى بن مريم الذي ولد دون أب بأمر الله القائل: كن!	٢- حميد الله
"بكلمة منه" d'une parole مباشرة مثل حميد الله. مع حاشية تقول: كلمة.. ولسنا هنا بعيدين عن verbe (والمترجم يقصد: ترجمة آية العهد الجديد: في البدء كان الكلمة، في سياق الحديث عن السيد المسيح). .. وكلمتـه: sa parole. مـع حاشـية تقـول: أهـل الكتاب هنا النصارى الذين يدعوهم القرآن إلى اتخاذ موقف حذر، يبرز وجهًا جميلاً لعقيدتهم فيما يخص المسيح بوصفه كلمة الله وروحه.	٣- جاك بيرك

المترجم	الترجمـــة
١- دونيس ماسون	قبلة- القبلة: ﴿ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ (البقرة: ١٤٣). ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ (البقرة: ١٤٤). ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس: ٨٧). ﴿ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ la qibla بدون ذكر أي حاشية وقد وضع اللفظ العربي كما هو. وكذلك ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ أما:﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فقد ترجمت disposez vos demeures les unes en face des autres ترجمت: متقابلة، البيت في مواجهة الآخر. (ولم تشر المترجمة إلى مصدر هذه الترجمة من التفاسير). ووضعت المترجمة حاشية تقول: هذه الكلمة وهذا السياق فسر بطرق مختلفة، عديدة.
٢- حميد الله	ترجم الجميع بـ la direction ووضع بجوارها بين قوسين كلمة قبلة بالحروف الصوتية. ولكنه وضع حواشي ثلاثا: ١- القبلة التي كنت عليها: القبلة: الاتجاه الذي يتوجه إليه في إقامة الصلاة في السنة الأولى للهجرة كانت بيت المقدس، ثم كانت بعد ذلك تجاه مكة. ٢- التوجه إلى الكعبة كان إذن نوعا من الشهادة... ٣-

	شرح لعبارة ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ faites de vos maisons un lieu de prière = اجعلوا بيوتكم مكانًا للصلاة (يقول الزمخشري: قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة...أن يتبوآ لقومهما بيوتًا ويختاراها للعبادة)، (ولكن لا توجد أية إشارة للزمخشري في ترجمة حميد الله).
٣- جاك بيرك	﴿ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾: la direction sur laquelle tu te règlais= الاتجاه.. ... ﴿قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ ترجمت قبلة بـ: ... un orient (وهي تعني): شرق. ولكن المترجم وضع حاشية لقبلة في الآية ١٤٣ تقول: وهكذا صارت مكة مركز العالم، وهذا الإيمان...إلخ (ثم)...فيما يخص القبلة الجديدة، "التوجه". ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ qu'on s 'oriente sur.. vos demeures = فليكن التوجه إلى بيوتكم (في الصلاة)!

إن دارسي الترجمات الإنجليزية، والألمانية في هذا النمط من المفردات، قد لاحظوا أن ثمة نوعاً من السقوط في هوة المفردات المعجمية وأنهم كما يقول محمد أبو طالب :

"اعتمدوا على المفردات المصفوفة بشكل ثنائي في المعجم" [1].

ولكن دراسة القوائم التي استخرجناها من الترجمات الفرنسية الثلاث، تظهر لنا بوضوح أن هؤلاء الدارسين قد عمموا ملاحظتهم هذه فيما يخص المترجمين الفرنسيين، فقد وجدنا غالبا أنهم -أو بعضهم- كانوا على درجة من الحذر وتحرِّي المعنى الصحيح.

إن بعض هؤلاء المترجمين الفرنسيين، مثل جاك بيرك يشعر بنوع من التردد إزاء اختياره المفردة المناسبة من بين عدة مفردات، ولذا نراه عندما يقرر أخيرًا تفضيل مفردة ما في لغته الفرنسية، يعلق في حاشية أسفل الصفحة محاولاً تسويغ ذلك الاختيار، مركزًا على التفسير الذي رجع إليه، وأحياناً على أسباب النزول، وقد لاحظنا خلال قراءتنا لتلك الشروح أو التنبيهات والتعليقات في الحواشي ثلاثة أمور:

أولاً: التردد وعدم الارتياح الذي يذكره صراحة، أو عدم الرضا التام، أوتأكيده جانب المقاربة في المعنى وعدم التطابق التام، مثلما فعل في ترجمة كلمة "الغيب" في الآية الثالثة من سورة البقرة، فعلى حين ترجمتها "ماسون" بالكلمة الفرنسية المألوفة Mystère دون ملاحظات ولا تعليقات، وهي الكلمة الأولى التي تتبادر إلى ذهن أي قارئ. وعلى حين ترجمها حميد الله بـ l' invisible = الخفي، غير المرئي. ووضع حاشية تقول: "كل ما لا نستطيع ملاحظته أو معرفته، بل كل ما لا نستطيع التحقق من وجوده في الماضي أو في الحاضر أو المستقبل". فقد ترجمها بيرك بكلمة Mystère ووضع حاشية بدأها بقوله: "إنها ترجمة غير مرضية"، وأحال على تفسير الزمخشري —الذي يفضله غالبًا– وكذلك إلى تفسير الألوسي.

ثانيا: الطموح إلى الوصول إلى درجة من التحديد والدقة في المعنى–حسب تصوره– في مثل ترجمة المفردات: "حنيف" حيث يترجمها بـcroyant originel =

---

(١)محمد أبو طالب. ملاحظات حول ترجمة القرآن.

المؤمن الأصيل، ويضع بجوارها كلمة "حنيف" بالكتابة الصوتية، ثم يضع حاشية تقول: "فطرة طبيعية، صلة بالفطرة". ومثله في "القصاص" talion = مقابل "الدية". وكذلك: "معروف" و "منكر" فالأولى: convenable : "متعارف عليه" وحاشية: مفهوم أخلاقي بدون صبغة دينية. والأخرى: blâmable وحاشية: مفهوم أخلاقي بدون صبغة دينية. [١]

ثالثا: محاولة الحفاظ على المعنى السياقي الدقيق، باختياره كلمة فرنسية تحافظ على المعنى "قبل الاصطلاح" مثل ترجمة كلمة "زكاة" بـ purification، والتي تعني في التعريف اللغوي الطهارة أو التطهير.

رابعا: محاولة الاحتفاظ بدرجة من الجانب البلاغي، بالإبقاء على المجاز وإلاّ فسيكون المعنى تفسيريا، في مثل ترجمة: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: ١٣٨) = teinture de Dieu ، فالكلمة الفرنسية هي المقابلة المباشرة "للصبغة" بما فيها من معنى مباشر مادي، ولكن نرى بالطبع أن وضعها في السياق مع لفظ الجلالة لا بد أن تجعل القارئ ينصرف إلى المعنى المجازي، كما نفهم نحن في العربية أن صبغة هنا لا تعني المعنى الأول، اللون، وإنما الدين والملة. ويتضح هذا من قراءتنا ترجمة دونيس ماسون لهذه الكلمة إذ اختارت كلمة onction وهي بتأثير من فهمها للعهد الجديد، فمعنى هذه الكلمة: نقطة الزيت التي توضع على جبين الطفل ساعة تعميده في الكنيسة، وهذا ربما يفهم القارئ أن المقصود في القرآن، وعند المسلمين هو مثل هذا تمامًا، وهو غير صحيح. أما ترجمة حميد الله فهي religion "دين" وهو المعنى التفسيري. ولذا فنحن نرى القارئ (المثقف)

---

(١) المعروف: اسم جامع لكل ما عرف حسنه ونفعه شرعاً وعقلاً والمنكر عكسه. (تيسير الكريم الرحمن ص١٤). (اللجنة العلمية).

بالفرنسية يفهم أن حرفية كلمة (صبغة) هنا لوضعها في إطار المجاز.

ونحن نضع في هذا الضرب ترجمة لفظ "كلمة" في الحديث عن المسيح عيسى عليه السلام، ولقد توافقت الترجمات الثلاث في اختيار لفظة parole = كلمة. وإن كانت دونيس ماسون لم تترك لها حاشية تفسرها، ولكن حميد الله، فسَّرها في حاشية تقول: كلمة الله، أمر الله، إشارة إلى المسيح عيسى بن مريم الذي ولد دون أب، بأمر الله القائل: كن!

كما وضع بيرك الحاشية التي أشرنا إليها والتي تقول: .. ولسنا هنا بعيدين عن لفظة verbe... (أي التي وردت في العهد الجديد).

وعمومًا فقد لاحظنا أن مشكلة ترجمة هذا النوع من المفردات باختيار مفردة فرنسية دون أخرى، تحول هذا الأمر إلى إشكالية معقدة، لا يكاد المترجم يخرج فيه من مشكلة حتى يسقط في أخرى، فيظل هناك جانب مفقود، يرجع إلى الخصوصيات الواضحة في كثير من المفردات القرآنية، ويبقى المترجم العالم الواعي حائرًا ما بين الترجمة المباشرة، التي تحصر معنى الجملة كلها في جهة واحدة من بين جهاتها المعقدة، وبين اختيار مفردة مباشرة تنقل المعنى الحرفي للكلمة، حتى يصل به إلى المعنى المجازي في العبارة أو الجملة.

وأما لفظة أمي وأميون، التي يوصف بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعرب قبل الإسلام، فهي لفظة ذات مستويات دلالية متعددة، والمعنى السائد من بين هذه المعاني، والأول والمباشر هو: "الذي لا يعرف القراءة والكتابة". ولكن المترجمين، قد يحتارون بين كلمة فرنسية تؤدي هذا المعنى، وبين كلمة تؤدي أحد المعاني الأخرى، وهي: "الذي ليس له كتاب، أي الوثنيين في مقابل أهل الكتاب".

وقد ترجمت ماسون الأمي بـ: le Prophète qui ne sait ni lire ni écrire. = النبي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وواضح أن هذه العبارة مكتوبة بالفرنسية بخط ودرجة من الحبر تخالف باقي الترجمة.. وقد وقعنا على كثير من مثل هذا في ترجمة ماسون، ويبدو واضحًا أن هذا تصحيح بعد محو ترجمة أخرى كانت موجودة، والدليل على ذلك أن هذه العبارة مكتوبة بنفس الطريقة ودرجة الحبر في الآيتين ١٥٧، ١٥٨ من سورة الأعراف وما بينهما من سطور مكتوب بالدرجة العادية).

وأما ترجمة "الأميين" فإن ماسون تختار لها infidèles وثنيين أو كافرين (الجمعة: ٢).

وحميد الله قد اختار كلمة illettré للنبي الأمي، أي بالمعنى المباشر أي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة. وكلمة les gens sans livre (les arabes) = أي الذين لا كتاب لهم (العرب).

أما بيرك فقد جازف- كما يقول هو نفسه واختار عبارة le prophète maternel ترجمة حرفية باشتقاق كلمة أمي من أمّ، وبالمصادفة البحتة فإن اشتقاق الصفة maternel مباشرة من mère أمّ.

كما ترجم من قبل: "أمة" ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل:١٢٠) بـ archétype = أي نموذج ومثال يحتذى. وقد وصف بيرك محاولته في الكلمة الأولى بأنها تجرُّؤ على الترجمة، وفي الأخرى بأنها مغامرة، أو مخاطرة في الترجمة.

ب- إشكالية تعابير جاهزة أو مسبوكة.

وهذه عبارة عن مركبات إضافية، منها على سبيل المثال:

"ابن السبيل- تحرير رقبة- رئاء الناس- أسفل سافلين- شق الأنفس- قاب قوسين".

أو: جار ومجرور مثل: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾- ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.

أو: عبارة المفعول المطلق: ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾- ﴿حُبّٗا جَمّٗا ﴾.

أو: جملة فعلية: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ أو ﴿بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ﴾- ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أو ﴿يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾- ﴿جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾- ﴿يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾- ﴿ تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾.

وهذه التعابير العربية أو العربية القرآنية على وجه الخصوص من خصوصيات المعجم القرآني، والتي يطلق عليها لغويو اليوم اسم "تعابير مسبوكة" أي مُعَدَّة أو جاهزة للاستخدام في السياق كما هي، وكما يسميها لغويو الغرب idiomes. وهذا الضرب من التعابير لايترجم في الواقع، وقد يكون مثيرًا للسخرية أحيانًا أن يؤلف له المترجم ألفاظًا مباشرة من لغته المترجم إليها ثم يضعها لفظًا بجوار لفظ. أو قد لا يفهم القارئ أحياناً أي شيء.. وهذه التعابير القرآنية تعجز المترجم وتقف حجر عثرة في طريقه. ومع أن في كل لغة تعابيرها، إلاَّ أن التعابير غالباً لا تتماثل في اللغات المختلفة، لأنها قد تدخل في باب المجاز، والمترجم قد يختصر التعبير في كلمة من اللغة المترجم إليها قادرة على أداء المعنى ولكن ليس بكل إيحاءاته وخلفياته وألوانه وظلاله. وهو إن وفق إلى ترجمة قريبة من الحرفية، ونبه القارئ الذي قد يستعين بالسياق لمدلول ما، نجده لا يلتزم التعبير نفسه في كل المواضع التي يرد فيها.

وسوف نحاول أن نجوس خلال الترجمات الثلاث التي اطلعنا عليها لنرى هذه الإشكالية.

١- الإضافة أو التعبير الإضافي:

أ- ابن السبيل: (البقرة:١٧٧، ٢١٥. الأنفال ٤١. الإسراء ٢٦ . الروم ٣٨)

المترجم	الترجمة

Voyageur = المسافر نفس المفردة Au fils du chemin, aux enfants du chemin, à l' enfant du chemin حرفيا ابن السبيل (الطريق) أبناء السبيل. ابن السبيل.	١- دونيس ماسون ٢- حميد الله ٣- بيرك

ب- تحرير رقبة: (النساء: ٩٢ . المائدة ٨٩ . المجادلة ٣)

المترجم	**الترجمة**
١- دونيس ماسون	Affranchir un esclave = "تحرير عبد" (في كل المواضع).
٢- حميد الله	Libérer un ésclave quiconque = تحرير عبد، أي عبد Affranchir un esclave. = تحرير عبد Libération d'une nuque = تحرير رقبة
٣- جاك بيرك	Affranchir une nuque d' esclave. = تحرير رقبة عبد

ج- إلا بشق الأنفس (النحل: ٧).

المترجم	الترجمة
١- دونيس ماسون	Qu 'avec peine = إلاّ بمشقة — أو صعوبة
٢- حميد الله	Qu 'avec peine = إلاّ بصعوبة، أو مشقة.
٣- جاك بيرك	Qu' à grand labeur des personnes = إلاّ بمشقة النفوس. الأشخاص

د- قاب قوسين: (النجم: ٩)

المترجم	الترجمة
١- دونيس ماسون ٢- حميد الله ٣- بيرك	Deux portées d'arc. Deux tensions d'arc. Deux tensions d'arc.

لقد لاحظنا كثيرًا من التنوع والخلط إلى درجة من التخبط في ترجمة هذه التعابير القرآنية، ويبدو السبب الأول في ذلك واضحًا، وهو عدم وجود تعابير مطابقة لها في اللغة الفرنسية، فذهب كل مترجم مذهباً أو اجتهد اجتهادًا:

أما التعبير أ- "ابن السبيل": فلم نجد مع ترجمته عند ماسون أي تعليق في حاشية.

وقد وحدت اختيار كلمة "المسافر" في جميع المواضع. واختار حميد الله الكلمة نفسها "مسافر" ولكن تميز بميزتين هما: أنه وضع بين قوسين بجوار التعبير داخل المتن عبارة: «en détresse» وهو ضائقة وإن كان لم يعمم ذلك في كل المواضع، مع أن التعبير القرآني واحد وفي سياقات متماثلة. ثم إنه تنبه لفارق فجمع المفردة (مسافر) بما يعني" أبناء السبيل المسافرون" حين وجدها مصحوبة بالجمع (اليتامى والمساكين)، وأفرد حين وجدها مصحوبة بالمفرد: (ذا القربى والمسكين).

والواقع أننا لم نقرأ نسخة من ترجمة حميد الله قبل أن تصحح في المملكة العربية السعودية، لنعرف هل كان هذا النوع من الدقة في مراعاة السياق وارداً منه أساسًا، أو أنه جاء من المراجعين والمصححين؟ ونحن في كل الأحوال نحمد هذه الدقة المناسبة.

أما جاك بيرك فقد اختار ترجمة المركب الإضافي كلمة كلمة، يتقبلها القارئ

الفرنسي ويفهمها، ولكن له كذلك خصوصيتان: إحداهما: التنويع بين enfant, fils وهو تنوع لا يضر بالمعنى، فكلتاهما تعني مع الإضافة: "ابن". والأخرى: أنه جمع (ابن السبيل) مرة واحدة مع جمع ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (البقرة:١٧٧).

وكان المفروض أن يجمع في كل المواضع المشابهة.

إن جاك بيرك يتفرد في ترجمة هذا التعبير– وفي كثير من مثله– بميزة هي محاولة الحفاظ على الناحية المجازية البلاغية، فالتعبير "ابن السبيل" له ما ليس لكلمة "المسافر" من معنى.

وأما التعبير بـ: "تحرير رقبة" فقد وجدنا دونيس ماسون تختار تعبير تحرير عبد affranchir لكل المواضع دون تفريق.

ووجدنا حميد الله يراوح بين المصدر affranchir والمصدر libérer وكلاهما يعنيان "التحرير" وإن كان الأول أقوى دلالة وفيه حركة. ولكنه ذكر مرة "عبدٍ أيِّ عبدٍ"، وهو حاول إشاعة النكرة في جنسها. وأخيرًا وجدنا بيرك يختار–كما فعل في ترجمة التعبير السابق، (ابن السبيل)– ترجمة حرفية، تحاول الحفاظ على المجاز، فيترجم بـ: تحرير رقبة مؤمنة، ثم تحرير رقبة، حسب تنوع الآيات، ولا يقول: "تحرير عبد"، ولكنه يترجم أحيانا، وكما رأينا بـ: تحرير رقبة عبد، وهو يفضِّل المصدر affranchir على libérer والأول أقوى دلالة كما أشرنا. وهو كثيرًا ما يؤكد في حواشيه أنه يرغب في الحفاظ على القرب من المجاز.

وأما التعبير ج– "شق الأنفس"؛ فإن كلا من دونيس ماسون وحميد الله قد اختار له كلمة peine التي تعني مشقة، أو صعوبة، أو ألما. بينما فضل بيرك بناء تعبير آخر وليس كلمة واحدة وهو grand labeur des personnes وهو تركيب مترجم حرفياً بإضافة "مشقة" إلى "أشخاص، أنفس". وإن كان صلاحه

يتوقف على اتفاق القراء في اللغة الفرنسية على معناه دون جهد أو مشقة.

وفيما يخص التعبير: د-"قاب قوسين"، فقد تفردت دونيس ماسون باختيار portées d'arc ، بينما اتفق حميد الله وجاك بيرك في اختيار tension d'arc، والأولى أكثر دقة في التعبير عن المسافة إلاّ أن الآخر (اختيار حميد الله وبيرك) يحمل الدلالة على الحركة، الضغط على القوس أثناء انطلاقه. ولكن الجميع حاولوا بناء تركيب إضافي ولم يترجموا بمفردة واحدة.

٢- التعبير بالجار والمجرور: أ- عن بينة، ب- على بصيرة:

أ- "عن بينة" (الأنفال: ٤٢)

المترجم	الترجمة
١- دونيس ماسون	Pour une raison évidente = سبب بديهي أي بين
٢- حميد الله	Sur preuve = عن بينة، دليل، (مع حاشية وافية تشرح سبب البينة، وهي انتصار المسلمين قليلي العدد وإذن فمن هلك فقد هلك عن اختيار، وعن بينة).
٣- جاك بيرك	Probante = مقنعة.

ب- "على بصيرة" (يوسف: ١٠٨).

المترجم	الترجمة
١- دونيس ماسون	En toute clairvoyance = في تبصر، ببصيرة
٢- حميد الله	Sur une preuve évidente = على بينة. دليل بديهي.
٣- جاك بيرك	Dans la clairvoyance= في تبصره، بصيرة

مع ترجمة هذين التعبيرين نجد أنفسنا كذلك أمام اختلافات واجتهادات متنوعة. وهما في الحقيقة تعبيران متقاربان في العربية، "عن بينة" و "على بصيرة" ومع هذا فقد تنبه كل من دونيس ماسون وجاك بيرك للفرق الدقيق nuance فترجمت ماسون الأولى "بينة" بـ: "سبب بديهي أي بيّن" والأخرى "بصيرة" en toute clairvoyance = بصيرة تبصر. وكذلك جاك بيرك الأولى probante مقنعة والأخرى بـ: clairvoyance تمامًا مثل ماسون إلاَّ أنها أكَّدت بإضافة "بكل". وأما حميد الله، فقد وجد أن التقارب أوضح فلم يفرق كثيرًا بين ترجمة (بينة)، وترجمة (بصيرة) الأولى preuve une والأخرى preuve évidente فدرجة البصيرة عنده أكثر تأكدًا. وإن كنا نرى المترجمين الآخرين تمسكا بدرجة من القرب الشديد بين البصيرة واشتقاقها من البصر.. ووجدا كلمة فرنسية قريبة جدًّا، فبين الرؤية والبصيرة فرق يسير، وهي تختلف عن البينة.

٣- التعبير بتركيب المفعول المطلق المبين للنوع:

المفعول المطلق واستخدامه في التركيب اللغوي سلوك لغوي خاص باللغات السامية ولكنه أكثر اكتمالا في العربية وحدها، إذ هو مصدر من لفظ الفعل السابق عليه في الجملة، وهو أحد المفاعيل الخمسة المنصوبة، يستخدم لتأكيد الحدث أو لبيان نوعه وإيضاحه، ومثال الأول من القرآن:﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾(الطارق:١٥) ومثال الآخر: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٤٠).

وعربية القرآن تستخدم ذلك كثيرًا، فهو بالإضافة إلى قيمته في المعنى وتأثيره في تعميقه، يضيف إلى نغمة النطق جمالاً فوق جمال، وبخاصة عندما يقع في نهاية العبارة أو على رأس الآية، فيقف القارئ جميل الصوت بألف إطلاق ممدودة لحالة النصب، تضيف انسيابًا جميلاً يبقى أثره طويلاً بعد انتهاء النطق ليفعل فعله في النفس: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ (الفجر: ١٩- ٢٢). وغير مسموح للمترجم قط أن يسقطه من الترجمة أو أن يهمله... ولكن كيف يترجم ولغة كالفرنسية -بل والإنجليزية والألمانية كذلك- لا تمس هذا الضرب من التعبير؟ وكيف سيكون التركيب في الترجمة إذا ترجم حرفيا؟

وسوف نختار عينات منه نقسمها قسمين، القسم المؤكِّد للحدث والقسم المبين للنوع، ثم نستعرض الترجمات الثلاث موضع الدراسة، لنرى كيف تصرفت مع هذا وذاك؟

أ- النوع الأول:

التعبير	المترجم	الترجمة
١- ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ (يوسف: ٥)	ماسون	= ... Ils trameraient les ruses يدبرون لك كيدا. خدعة. مكرا
	حميد الله	=Ils montreraient un complot يدبرون لك مؤامرة. مكيدة
	بيرك	Ils machineront contre toi une machination= يكيدوا لك كيدًا!!
٢- ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ (الكهف: ٩٩)	ماسون	Nous les réunirons tous ensemble.= جمعناهم معًا.
	حميد الله	Nous les rdssemblerons tous= جمعناهم كلهم
	جاك بيرك	Nous les rdssemblerons un

=grand rassemblement جمعناهم جمعًا كبيرًا		
Mon seigneur les reduira en poudre يحيلها مسحوقا	ماسون	٣- ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾(طه١٠٥)
Mon seigneur les disposera comme la poussière = يبعثرها كالغبار	حميد الله	
(مثل حميد الله).	بيرك	
قـرر = Décide clairement بوضوح	ماسون	٤-﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ (الشعراء:١١٨)
احسـم = Tranche..clairement الأمر بوضوح	حميد الله	
Ouvre entre eux et moi = افتح بينهم وبيني (فتحة) = issue (فتحًا)	بيرك	
Ils préparent une ruse يعدون مكيدة	ماسون	٥- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (الطارق: ١٠)
Ils se servent d'une ruse يستخدمون مكيدة	**حميد الله**	
Qu'ils ourdissent leur stratègeme= يدبرون خطة	بيرك	

ومن هذا القسم تعبيران يتكرر فيهما المفعول المطلق متابعًا:

﴿.... إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾(الفجر: ٢١ ، ٢٢) وقد ترجمتا كما يلي:

١- ماسون: quand la terre sera réduite en poudre = تعود مسحوقًا

rang par rang = صفًّا

٢- حميد الله: complètement pulvérisée.. = دُكت الأرض تمامًا.

..rang par rang = صفًّا صفًّا

٣- بيرك: la terre sera pilée jusqu à la ..

دُكَّت حتى تساوت= l'applatissement ..

صفًّا صفًّا avec les angs en rangs

٢- النوع الثاني:

التعبير	المترجم	الترجمة
١ - ﴿أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ (النساء: ٦٠)	ماسون	Les jeter dans un profond égarement = أن يلقيهم في ضلال عميق
	حميد الله	.. les égarer très loin dans l'égarement= يضلهم بعيدًا في الضلال.
	بيرك	Les égarer d'un

		égarement radical= يضلهم ضلالاً تمامًا.
٢- ﴿ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء:١١٩)	ماسون	Il est irrémédiablement perdu= خسر بلا أي إمكانية للصلاح
	حميد الله	.. voué à une perte éclatante= خسر خسرانًا (خسارة) مبينًا.
٣- ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر: ٢٠)	ماسون	Vous aimez les richesses d'un amour sans bornes= وتحبون المال حُبًّا بلا
	حميد الله	(مثل ماسون تماما).
	بيرك	Vous aimez la richesse d'un amour ou tout passe.= وتحبون المال حبًّا
٤- ﴿فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٣)	ماسون	Je me serais assuré un gain considérable= سأؤمن لنفسي فوزًا عظيما
	حميد الله	J'aurais alors acquis un gain énorme= سأحظى بكسب عظيم
	بيرك	Pour triompher d'un

		grand triomphe= فأفوز فوزًا عظيما.

من عرض ما سبق نستنتج أن المفعول المطلق بقسميه صعب غاية الصعوبة، بل شبه مستحيل أن يترجم إلى اللغات الهندوأوربية، إذ لم تدرج هذه اللغات على استخدام هذا النوع من التعابير، فهو غير موجود. وقد قلنا في بداية الحديث إن التعابير المسبوكة أو الجاهزة، إما أن يكون لها تعابير مقابلة في اللغات الأخرى تستخدم في مقامات مشابهة أو لا، وإلاَّ فإن ترجمت ترجمة حرفية كلمة كلمة وركبت معًا، فإنها إما أن تكون ركيكة، أو مثيرة للاستغراب، أو لا معنى لها على الإطلاق.

وإذا كانت محاولات المترجم فيما يخص المفعول المطلق المبين للنوع قد تصل – بشق الأنفس– إلى تحقيق درجة من التوفيق والنجاح من حيث وجود الصفة بعد المصدر، فإن وضع الصفة الفرنسية سوف يساعد على فهم المعنى أو درجة منه.. ولكن تظل الإشكالية الكبرى هي وضع مصدر من لفظ الفعل.. ولذا يظل المفعول المطلق المؤكد أصعب ترجمة من غيره وفي كلٍّ صعوبة ومشقة. فإذا اضطر المترجم إلى إسقاطه من الترجمة تمامًا، كما فعلت ماسون وحميد الله في المثال الأول ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف: ٥). ظلت الترجمة ناقصة، وإذا حاول بيرك أن يترجمه حرفيا: "يكيدوا لك كيدًا"! فهي قد تعد ركيكة في ذوق القارئ الفرنسي، وربما يألفها لأنه يعلم أنها مترجمة لتعبير من لغة أجنبية، وتظل إذن أجنبية عنده.

انظر إلى ترجمة: "جمعناهم جمعًا"وربما ساعد التوكيد اللفظي "كلهم" والظرف "معًا" على تحقيق درجة من الاقتراب من المعنى الحقيقي للتعبير، وأما حميد الله فقد قال: "جمعناهم كلهم" بإضافة التوكيد "كلهم". وأما بيرك فقد

حاول التمسك بوضع ما قد يشابه –من وجهة نظره– المفعول المطلق فقال: "جمعناهم جمعًا كبيرًا" فاضطر لوضع "صفة" بعد لفظ "الجمع". ولكنه مع حرصه الشديد على ترجمة المفعول المطلق، قد يضطر إلى وضع صفة بعده، سببها أن اللغة الفرنسية قد تستخدم ما يشبه المفعول المطلق، ولكنه غالبًا في تعبيرات إيجابية مثل الحب والنجاح. ومع صفة بعده، فيتحول آليًا إلى ما يقابل "المبين للنوع" في العربية.. فالفرنسية تقول: je l'aime d'un grand amour= أحبه حبًّا عظيمًا. ولا تقبل التعبير je l'aime d'un amour= أحبه حُبًّا، بدون إضافة صفة. نقول بعد كل هذا: إن بيرك أحيانًا يضطر لإسقاط المفعول المطلق من الترجمة تمامًا، مثلما فعل في ترجمة "ينسفها ربي نسفًا" إذ ترجمها بـ: يبعثرها كالغبار.

وعندما يترجم المترجم باختيار فعل من غير لفظ المصدر، فإن المفعول المطلق يضيع، وتتحول الترجمة إلى جملة فعلية من فعل وفاعل ومفعول به، مثلما وجدنا في ترجمة "فأفوز فوزًا عظيمًا" حيث ترجمت ماسون بما يعني: أحقق لنفسي فوزًا عظيمًا، ومثل ذلك تقريبا فعل حميد الله.

وأما بيرك فوجد فرصة ما أشرنا إليه من إمكان وضع المصدر أو ما يقاربه بشرط وجود صفة بعده (في العبارات الإيجابية) فترجم "فأفوز فوزاً عظيمًا".

ولا ننسى أن هذا صح في ترجمة نمط المفعول المطلق المبين للنوع.

٥– التعبير بالجملة الفعلية:

لا شك أن أية لغة تحاول أن ترد على لغة أخرى تحاورها من خلال الترجمة، ولكن لا ينتظر منها أن ترد بالضرورة بالطريقة نفسها ولا بمعادلات دقيقة مساوية لما في لغة الأصل ومطابقة لها.

وقد رأينا فيما سبق من حديث عن المفعول المطلق، أن المترجم حائر بين

إسقاطه من الترجمة أساسًا، وبين ترجمة حرفية كلمة كلمة، قد تؤدي به إلى الركاكة في التركيب والتعبير، وبين الدوران حوله، وقد يحوله إلى جملة فعلية بدلاً من المفعول المطلق، فتصير: "يكيدوا لك كيدًا" "يعدوا لك مكيدة". ورأينا ما في ذلك من تحول أو انحراف عن المعنى الأصلي أو عن كثير مما فيه. ولكن إسقاطه تمامًا من الترجمة، أو ترجمته حرفيا يطرحان مشاكل أخرى بين النقص والغموض.

ولننظر الآن إلى ترجمات التعبير بالجملة الفعلية:

التعبير	المترجم	الترجمة
١ - ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ (الشورى: ٢٧)	ماسون	Si Dieu dvait dispensé largement Ses dons= أتاح العطاء باتساع= وسَّع.
	حميد الله	Si.. attribuait Ses dons avec largesse= لو منح عطاءه باتساع.
	بيرك	Si Dieu avait épanché sur Ses adorateurs l'attribution= لو أفاض على عباده العطاء.
٢- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (النساء: ١٠١)	ماسون	Si vous parcourez la terre = إذا سحتم في الأرض، أو جبتم الأرض.
	حميد الله	(الترجمةنفسها)
	بيرك	En déplacement sur terre= في تنقلكم في الأرض.

التعبير	المترجم	الترجمة
٣- ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (النساء ٩٤)	ماسون	Lorsque vous vous engagez dans le chemin de Dieu = إذا تطوعتم في سبيل الله.
	حميد الله	Lorsque vous sortez pour lutter dans.. = إذا خرجتم للقتال في سبيل الله.
	بيرك	Si vous vous lancez sur le chemin.. = إذا انطلقتم في سبيل الله.
٤- ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ (المؤمنون: ٢٧)	ماسون	À l exception de celui d'entre eux, contre qui la parole a déjà été prononcée. = إلا من نُطق عليه القول.
	حميد الله	(الترجمة نفسها)
	بيرك	Sauf celui d’entre eux qu’ a déjà exclu la sentance. = إلا من استثناه القضاء (الحكم)
٥- ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ (الإسراء: ١٦)	ماسون	La parole prononcée contre elle se réalise = تحققت، حقت عليها الكلمة المنطوقة.

التعبير	المترجم	الترجمة
	حميد الله بيرك	La parole s’avère= ثبت عليها القول المحتوم. الذي لا مفر منه.
٦- ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ (النمل: ٨٢)	ماسون	Lorsque la parole tombera sur eux = إذا القول وقع عليهم.
	حميد الله	(الترجمة نفسها)
	بيرك	Quand tombera sur eux la parole= إذا وقع القول عليهم.

لاحظنا أن كلمة "الرزق" تختلف ترجمتها، أو تتنوع بين "العطاء" و"المنح" فالعربية غنية بما يشبه المرادفات ففيها العطاء والمنح، أمَّا "الرزق" فله كلمة خاصة إذ لا يتأتى من غير الله، أما المنح والعطاء فأعم وأشمل. وكذلك الفعل "بسط" قد يقترب منه الفعل "وسَّع" والفعل "أفاض" ولكن هذا غير ذاك، وإذن فالتركيب "بسط الرزق" مسبوك أو مسكوك بما خلفه من إيحاءات وخصوصيات لايؤديها تفكيكه إلى كلمات متجاورة.

تؤدي الترجمات التي رأيناها كثيرًا من معنى التركيب القرآني، ولكن ليس بتمامه وكماله، وقل مثل ذلك في "ضربتم في الأرض" ترجمت "سحتم، تنقلتم، جبتم"، وليس لها ما للفعل "ضرب" من وضوح الحركة بدب الأقدام على الأرض. وكذلك "ضربتم في سبيل الله" حيث ترجم المعنى مع تجاهل الفعل "ضربتم" فوجدنا:"تطوعتم في سبيل الله" ولا تحقق هذه الترجمة دقة الفعل "ضرب"ولا تنقل الحركة فيه.

وقد أحس المترجمون باختلاف في التركيب "ضربتم في سبيل الله" عن

"ضربتم في الأرض" لما يوحي به التركيب ضربتم من جهاد أو قتال؛ ولذا ترجمت ماسون "تطوعتم"، وترجم حميد الله "ضربتم للقتال"، وترجم بيرك "انطلقتم" محاولاً الحفاظ على الحركة القوية والسريعة في الفعل في هذا السياق.

أما التعبير "سبق القول" مع ما فيه من إيجاز واضح ودلالة خاصة بالفعل سبق، وما له من إيحاءات بالحسم والنفوذ، فقد ترجم غالبًا بعبارات واضحة الطول تقترب من عشر كلمات، وكان مفادُ الترجمات-كما رأينا- "نطق القول"، و"استثناء القول". ومع ذلك لاحظ المترجمون فرقًا واضحًا دقيقًا بين "سبق القول" و "حق القول" فتراوحت ترجمة "حق القول" بـ "ثبت القول المحتوم" عند بيرك، و"تحقق القول" عند حميد الله وماسون. أما "وقع القول" فقد أصرَّ المترجمون الثلاثة على التمسك بحرفية الفعل وقع إذ وجدوا له المعادل الدقيق في اللغة الفرنسية، وإن كان حميد الله وماسون قد اتبعا التركيب الفرنسي للجملة الاسمية: "إذا القول وقع عليهم"، أما بيرك فقد حاول الحفاظ على الجملة الفعلية بادئا بالفعل وإن كان منطق التركيب الفرنسي قد حتم عليه تأخير الفاعل فجاءت عبارته: "إذا وقع عليهم القول".

ج- إشكالية النحو:

عود الضمائر وتركيب الجملة:

- أولاً: الضمائر:

لاستعمال الضمير في العربية خصوصيات، والضمير المتصل وعوده على اسم سابق في التركيب، يصل إلى درجة من الدقة، تحتاج إلى حس بخفايا الجملة العربية، وتماسك أعضائها، وقد تلتبس على القارئ العربي المتمرس بعض من هذه الخفايا، مما يجعل النحاة العرب والمفسرين، يتكاتفون -يساعد بعضهم بعضًا- في استكناه ما وراء هذا التركيب أو ذاك من وجوه المعاني.

انظر إلى ضمير الغائب المفرد في الفعل "يعرفونه"، وهو ضمير متصل وقع مفعولاً به، وقل: ما عوده، علام يعود؟ ستقول على الفور: إنه يعود على "الكتاب". وماذا لو قال لك بعض النحاة والمفسرين، بل إنه قد يعود على "النبي محمد" صلى الله عليه وسلم؟ نعم، وكيف سيتعامل المترجمون مع مثل هذه الجملة من هذا الضرب من التركيب:

١- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾(الأنعام: ٢٠)

٢- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (لقمان: ١٠)

٣- ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ (سبأ: ٤٧)

٤- ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ٢٥)

الضمير	المترجم	الترجمة
١ "يعرفونه"	ماسون	ترجمت: "يعرفونه: أي النبي". وهي ترجمة صحيحة.
	حميد الله	ترجم: "يعرفون رسول الله محمدًا" مثل ترجمة ماسون وهي صحيحة كذلك.
	بيرك	ترجم: "يعرفونه: أي الكتاب". وهي صحيحة كذلك.
٢ "تروها"	ماسون	ترجمت: "بغير عمد مرئية" وهي ترجمة صحيحة.
	حميد الله	ترجم: "بغير عمد تستطيعون رؤيتها" أي العمد، أي بغير عمد مرئية.
	بيرك	ترجم: "تروها، أي السماء"، وهي ترجمة

الضمير	المترجم	الترجمة
		صحيحة كذلك.
٣ "فهو لكم"	ماسون	ترجمت: "لم أسألكم عليه من أجر، إنه لكم!" فاعتبرت "ما سألتكم" نفيا، ثم قطعت، وإذن فـ: "هو لكم" جملة استئنافية مثبتة. ووضعت حاشية طويلة سنشير اليه.
	حميد الله	ترجم: "الذي سألتكم.... إنه لكم" فاعتبر ما موصولة و "هو لكم" خبرا.
	بيرك	ترجم: "لم أسألكم.... إنه لكم" فاعد "ما" نافية مثلما فعلت ماسون.
٤ "وأملى لهم".	ماسون	الضمير المستتر في الفعل أملى وهو فاعل، ترجمته عائدا على "الشيطان"، أي "الشيطان سول لهم وأملى لهم كذلك". وهي ترجمة صحيحة.
	حميد الله	ترجم مثل ترجمة ماسون، وهي ترجمة صحيحة كذلك.
	بيرك	ترجم: "الشيطان سول لهم، والله أملى لهم" وترجمته صحيحة كذلك.

لاحظنا أن ماسون لم تضع حواشي إلاَّ لترجمة "ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم" تقول فيها: "مازال تفسير هذا السطر موضع شك، هل تعني "هو" الأجر؟ وإذن سيكون المعنى: خذوه إنه لكم، أو يجب أن نتصور المعنى منصرفًا إلى رسالة

محمد، وأنها في صالح البشر؟".

أما اختياراتها لعود الضمير الظاهر أو المستتر فهي صحيحة تقبلها التفاسير بناء على الصلاح التركيبي للجملة وإمكان فهم الضمير فيها.

ولاحظنا أن حميد الله يتفق معها غالبًا، ولذا لم نعلق عليه هنا.

أما جاك بيرك فقد ذهب مذهبًا آخر، فالضمير في الفعل (يعرفونه) يعود إلى "الكتاب" أقرب مذكور، وهو راجع إلى تفسير الزمخشري، والحقيقة أن معيار الفرق بين العود على "النبي" والعود على "الكتاب" في اللغة الفرنسية، دقيق وسهل، فلفظ "النبي" في الفرنسية مذكر، و "يعرفونه" تترجم le connaisse ولفظ الكتاب l'ecriture مؤنث ويعرفونه تترجم la connaisse. والفرق أن الضمير في العربية مذكر؛ لأن لفظي النبي والكتاب مذكران. وأما ترجمته "الشيطان سول لهم، والله أملى لهم" فهي ترجمة تستند إلى تفسير الزمخشري.

وأخيرًا فإن المأخذ الوحيد الذي قد نأخذه على المترجمين الثلاثة، هو عدم إشارة أي منهم للمعنى الآخر بناء على التفسير الآخر الذي يعكس الاحتمال الآخر لفهم الضمير وعوده، فهم يعرفونه في إمكان واحد.

ثانيا: تركيب الجملة، النحو والإعراب:

إذا كان بعض المستعربين في الغرب، قد فرحوا بوقوعهم على رأي قطرب –تلميذ سيبويه– المتوفى سنة ٢٠٦هـ، ، الذي قال وحده باصطناع الإعراب وعدم أصالته في العربية، فاتبعوه، وقالوا بإمكان نطق العربية دون الإعراب، فإن هذا لا يصدق على عربية القرآن الكريم قط، بل ولا على غيرها، وإذا كان إبراهيم أنيس هو الوحيد من بين اللغويين العرب المعاصرين، الذي تابع قطربًا والمستعربين على ذلك، فإن عددًا كبيرًا من علماء العربية المعاصرين قد تصدَّوا لهذا الزعم، وأسقطوه بالحجج والبراهين اللغوية العلمية والتاريخية السليمة، فالإعراب الكامل بكل حالاته وتفاصيله

ضروري لفهم العربية الفصحى والعربية القديمة. وهو ظاهرة سامية قديمة، بقيت آثار حالاته الثلاث رفعًا ونصبًا وجرًّا في الأَكَدِية، في نص قانون حمورابي، وبقيت منه حالة النصب في عبرية العهد القديم، وفي الآرامية كذلك..

وإذا كان الإعراب واتباع قواعد النحو ضروريا وحاسمًا في القرآن الكريم، فإنه من الدقة الدقيقة والأهمية القصوى بمكان لفهم بعض التراكيب القرآنية أكثر من غيرها، فلا يمكن فهم بعض التراكيب مثل:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤)

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ...﴾ (البقرة: ١٢٧)

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٨)

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ (يونس: ٦٨)

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٣)

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٦)

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ (آل عمران: ١٦٧)

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ (آل عمران:١٩٢)

	المترجم	الترجمة
١- ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾	ماسون	Lorsque son seigneur éprouva Abraham.= وإذ ابتلى ربُّهُ إبراهيمَ.
	حميد الله	(et rappelle-toi) lorsque ton seigneur eut éprouvé Abraham= (واذكر) إذ ربك ابتلى

	المترجم	الترجمة
		إبراهيم.
	بيرك	Lors Abraham, son seigneur l'éprouva= وإذ إبراهيم ربه ابتلاه
	ماسون	Abraham et Ismael élevaient...= إبراهيم وإسماعيل يرفعان...
٢- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾	حميد الله	مثل (ترجمة ماسون). مع ذكر: quand= عندما
	بيرك	Et tandis qu'Abraham élevait les assises avec l'aide d'Ismael= إبراهيم يرفع... بمساعدة إسماعيل.
	ماسون	Parmi les serviteurs de Dieu les savants sont seul à le redouter= من بين عباد الله، العلماء وحدهم يخشونه.
٣- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾	حميد الله	"من بين عباده وحدهم العلماء يخشون الله"
	بيرك	Mais seul craignent Dieu, parmi ses adorateurs ceux qui connaissent= إنما يخشى الله من (بين) عباده أولئك الذين يعلمون.

	المترجم	الترجمة
	ماسون	Avez vous quelques autorités pour parler ainsi = هل لديكم سلطان لتقولوا ذلك.
	حميد الله	Vous n'avez pour cela aucune preuve = ليس لديكم على ذلك أي برهان.
٤- ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ﴾	بيرك	Vous n'avez pas la moindre justification pour dire cela. = ليس لديكم أي تسويغ (برهان) على قولكم هذا
	ماسون	
	حميد الله	= ترجمة عادية صحيحة.
	بيرك	= ترجمة عادية صحيحة.
	ماسون	Si tu les conviais … ne pourraient vous suivre = وإن تدعوهم... لا يتبعوكم.
٥- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ .... لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾		Afin qu ils reconnaissent les croyants et afin qu'ils reconnaissent les hypocrites = وليعلموا المؤمنين. وليعلموا الذين نافقوا.
	حميد الله	Afin qu'il distingue les croyants et qu'il distingue les hypocrites.

	المترجم	الترجمة
٦- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾	بيرك	= وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا Que le sachent les croyants et =que les hypocrites sachent=
	ماسون	وليعلم المؤمنون وليعلمه الذين نافقوا. Tu couvres d'approbres celui =que tu introduis dans le feu
	حميد الله	إنك تخزي من تدخله النار. Quiconque que tu fais entrer dans le feu, tu le couvres d'<u>ignominie</u> vraiment = مـن
	بيرك	دخل النار فقد أخزيته C'est Toi qui fais entrer (le coupable) dans le feu tu l'avais déjà mis à mal= إنك
٧- ﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ﴾		أنت الذي (من) تُدخِل المجرم النار وإذن فقد أخزيته.

إن حركة الإعراب تضمن وظيفة الكلمة في الجملة، ولذا تتمتع الجملة العربية بدرجة من حرية التقديم والتأخير وله في النحو والبلاغة دوره المؤثر في المعنى، ولكن تقديم المفعول به كما في جملة: "وإذ ابتلى ابراهيم ربُّه" سوف يحدث مشكلة في الترجمة بلا أدنى شك، وانظر إلى سلوك المترجمين، وترتيب كلمات الجملة عندهم،

ماسون تترجم "وإذ ربُّه ابتلى إبراهيم"، لاشك أنه لا خلل في احتفاظ كل من الفاعل والمفعول به بوظيفتهما، ولكنها لم تستطع قط الحفاظ على ترتيب قريب من النسق العربي، وكذلك وضعت "ربُّه" بالضمير المتصل بها بعد الظرف مباشرة ودون مرجع لهذا الضمير سابق، وهذا النسق مألوف في الفرنسية. وأما حميد الله، فلا ندري لماذا تحول عن ضمير الغائب "ربُّه" إلى ضمير المخاطب "ربُّك"؟ أما نسق جملته فهو يشبه نسق جملة ماسون"إذ ربك ابتلى إبراهيم"، وأما بيرك فقد حافظ على ضمير الغائب ولكن ترتيبه "وإذ إبراهيم ربُّه ابتلاه". وكل ذلك يدل على استحالة نقل التركيب العربي بدلالات إعرابه ونسق كلماته. والمترجم معذور ولا شك فهذه حدود لغته وطاقاتها.

ثم إن التركيب "يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ" بعد تمام الجملة من فعل وفاعل ومفعول به مكون من مضاف ومضاف إليه، ويعطف فاعلاً جديداً. وذلك غير وارد باللغة الفرنسية بأي حال من الأحوال، ولذا تراوحت الترجمات بين عطف الفاعل على الفاعل في صدر الجملة (وقد صارا مبتدأين كعادة الفرنسية) إبراهيم وإسماعيل يرفعان القواعد، مع إهمال "إذ". كما في ترجمة ماسون، أو مثل ذلك مع ذكر "إذ" كما فعل حميد الله. وبين محاولة للحفاظ على النسق العربي في الترجمة الفرنسية وهذا ما فعله جاك بيرك إذ ترجم: "وإذ إبراهيم يرفع القواعد من البيت بمساعدة إسماعيل" ولكنه ليس حفاظًا كاملاً، إذ لاتسمح به اللغة الفرنسية فكان لا بد فيها من تقديم الفاعل على الفعل، ولكن أكمل الجملة، ثم عطف الفاعل الآخر، ولكن قال "بمساعدة إسماعيل".

والتركيب "إنما يخشى الله من عبادِهِ العلماءُ" أتعب المترجمين فكان نسقه في ترجمة ماسون "من بين عباده العلماء وحدهم يخشونه" وفي ترجمة حميد الله، كان قريبًا من ذلك "من بين عباده، وحدهم العلماء يخشون الله"، وقريباً منه بيرك

"... أولئك الذين يعلمون" (العلماء)، فكان بيرك الأقرب إلى النسق العربي ويأتي بعده حميد الله، ثم أخيرًا دونيس ماسون.

ولا ننسى بعد هذا كله ذوق القارئ الفرنسي ومستواه في تحصيل هذا التغاير والاختلاف في أنساق التراكيب في لغته الفرنسية.

والتركيب "إن عندكم من سلطان بهذا" حولته الترجمة الأولى إلى أسلوب إنشائي عن طريق صياغته بالاستفهام "هل عندكم براهين (سلطان) على هذا القول؟" وحاولت ترجمة حميد الله الحفاظ عليه فقالت "ليس عندكم على ذلك أي برهان"، وبذل بيرك جهدًا أكبر إذ قال" ليس عندكم أدنى تسويغ (برهان) لقولكم هذا "وقد لاحظ هذان الأخيران أن النفي بـ "إنْ" و "من" قوي وحاسم، فأضاف الأول إلى عبارته "أي" والآخر" أدنى" فخرج النفي أقوى من النفي العادي بـ"ليس" أو بـ"ما". والتركيب ".. وليعلم المؤمنين" والفاعل مستتر تقديره "هو" يعود إلى لفظ الجلالة حسب سياق الآية و "المؤمنين" مفعول به.

وكان عدم الدقة في إدراك حالة النصب في المفعول به، واستتار الفاعل وملاحظة مرجعه، سببًا في خلط كبير لدى ترجمة ماسون وجاك بيرك، إذ عدَّ كل منهما لفظ المؤمنين فاعلا لمجرد وقوعه في النسق بعد الفعل (كما تقضي اللغة الفرنسية) فترجمت ماسون "وليعلم المؤمنون" و "ليعلم المنافقون"، وكان بيرك قريبا جدًّا من ذلك فقال: "وليعلمه المؤمنون" و "ليعلمه المنافقون"، وعدَّ ضمير النصب المتصل بالفعل "يعلم" ضمير شأن يعود إلى محتوى الجملة السابقة. وكان هذا السلوك في الترجمتين خطأ فاحشًا، لم يقع فيه حميد الله؛ إذ راعى النحو مراعاة تامة.

وأما التركيب الأخير وهو جملة شرطية ".. من تدخلِ النارَ فقد أخزيتَهُ"، فقد حوَّلته دونيس ماسون في ترجمتها إلى جملة إثبات عادية إخبارية "إنك تغطي بالخزي من تدخله النار"، وحاول بيرك الحفاظ على صيغة الشرط "إنك أنت الذي تدخل

(المجرم) النار: وإذن فقد أخزيته"، والمشكلة هي فهم "مَن" على أنها اسم موصول، مع أنها في التركيب القرآني شرطية، وكانت أمام بيرك قرينة نحوية تقوده إلى عدِّ "مَنْ" شرطية ألا وهي جواب الشرط "فقد أخزيته"... ولكنه لم يتنبه لذلك. وأما حميد الله فهو وحده الذي ترجم جملة الشرط كما هي. بل لاحظ وجود "قد" حرف التحقيق الذي كثيرًا ما يهمله المترجمون فيما يهملون من أدوات التوكيد كما لاحظنا عند أغلبهم.

استنتاج أو كلمة أخيرة:

- وكما بدأنا نعود... لم تكن حتى الآن ترجمة كاملة تامة خالية من العيوب اللغوية وغير اللغوية، بل لن تكون قط، سواء أقام بها مسلمون أم غير مسلمين:
- لأن اللغات الإنسانية لا تتطابق ولا تتكافأ مائة بالمائة، فلكلٍ بناؤها وروحها ووسائلها الخاصة. ولذا فالترجمة دوران حول النص، وإذا كانت الترجمة الأدبية من الصعوبة بمكان كما قال أكثر من تقدم ذكرهم في هذا البحث منذ الجاحظ إلى اليوم، وإذا كانت ترجمة الشعر مستحيلة، فكيف بترجمة معاني القرآن؟ ولنقل ترجمة معاني القرآن الأصلية التي أكَّدها "الشاطبي" ومن بعده المراغي وهل ستحافظ ترجمة "المعاني" الأصلية على النسق اللغوي وما يحمل من تأثير في هذه المعاني؟
- وهل نأخذ على المترجم المخل إلاَّ ما قصر عن تحصيله من بعض أصول النص، ثم من عدم إدراك ما تحمله لغته المترجم إليها من إمكانات؟ فماذا نصنع إذا كانت اللغة المتلقية نفسها قاصرة، بل غير مطابقة، كما رأينا في استعراض ترجمات ثلاث؟ وماذا عن مستوى القارئ المعرفي بلغته هو التي يقرأ بها الترجمة؟ وهو كالقارئ العربي متفاوت في درجات المعرفة والحس اللغوي والبلاغي والأدبي؟ يبقى على دارس الترجمات أن يجري نوعًا من الاستفتاء والاستقصاء على أرض الواقع اللغوي الفرنسي مثلا؛ ليحدد أنواع القراء وطبقاتهم وأسباب توجههم إلى قراءة القرآن في الترجمة الفرنسية، وهل هي قراءة إيمان وعبادة؟ أو قراءة دراسة وبحث؟ وبأي عين يدخل إلى النص؟ وقد حاولنا الإشارة لشيء من ذلك خلال هذا البحث!
- إن ما كتب عن إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم منذ عهد الجاحظ إلى

عهد المراغي وقبله الشاطبي وبعده الزيات وغيره لم يترجم حتى الآن للغة الفرنسية، اللهم إلا شذرات نادرة لخدمة قليل جدًا من البحوث في فرنسا، ونحن نهيب بالعرب المزدوجي اللغة أن يدخلوا هذا الميدان، وسنحاول ترجمة ما نستطيع من ذلك إلى اللغة الفرنسية نهديه إلى المترجمين؛ ليكون نوعاً من الدليل المرشد المساعد لكل من يحب الدخول إلى عالم ترجمة معاني القرآن بشيء من التنبه والحرص، وإدراك خطورة الأمر، فالمكتبة الفرنسية شبه خالية من هذا النوع من الكتابات.

- وإذن فنحن ندعو إلى لقاءات وحوارات بيننا وبين المترجمين، بين الباحثين العرب والمسلمين والمهتمين بشؤون ترجمة معاني القرآن الكريم ودراستها ونقدها، وبين المترجمين الممارسين، ونؤكد أنهم لا يأنفون من هذه اللقاءات وتلك الحوارات إلا قليلا منهم فأعرض عنهم.
- وقد يبلغ بنا الطموح- المحبب- درجة عالية فنحلم بإنشاء أقسام في كليات الآداب وكليات الترجمة في بلادنا العربية الإسلامية، تتخصص بهذا الضرب وحده من الترجمة، وترسل من أبنائها في بعثات لدراسة اللغات وآدابها وتاريخها، ولدراسة علم الترجمة ومناهجه ومدارسه، والرجوع إلى جامعاتهم، وجمع أكبر عدد من ترجمات معاني القرآن، لوضعها موضع البحث العلمي النقدي التحليلي، ودراسة إشكالاتها والمساهمة في بحوث أكاديمية في هذا الحقل ونشرها بلغات العالم المختلفة، والإعلان عن ذلك في أقسام الدراسات العربية والإسلامية ومراكز البحث العلمي اللغوي والأدبي في جامعات الغرب، وفتح جسور حوار علمي بحثي حول هذه الأمور، قد يكون ذلك أكثر فائدة من الوقوف عند حد الحصر والرصد للأخطاء دون دراسة ودون توجيه.

- وهذا اقتراح نابع من تجربتنا الذاتية، فلدينا سجلات بأخطاء عديدة عن ترجمات فرنسية حاول بعض المترجمين تداركها، ولم نتمكن من الاتصال بالبعض الآخر، وكثير من الأخطاء استخرجناه من ترجمات كانت قد تمت مراجعتها وتصحيحها من علماء وجهات إسلامية، وإن ما قمنا بقراءته وتصحيحه مازال قابلا لقراءة وتصحيح.
- وقد يحتاج الأمر إلى دراسات وبحوث في تصحيح الترجمات ذاتها.. فقد يصبح التصحيح -في رأينا- علمًا قائما بذاته يوازي علم الترجمة، ويوازي عملية الترجمة ذاتها.

وعلى الله قصد السبيل

المراجع

- الإعجاز في نظم القرآن : محمد سعيد شيخون.
- الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن : محمد فريد وجدي.
- بحث في ترجمة القرآن وأحكامها: محمد مصطفى المراغي.
- البستان : للبستاني.
- تاريخ الرسل والملوك : الطبري.
- تاج العروس: للزبيدي.
- ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية – جاك بيرك، الطبعة الثانية، تصحيح محمود عزب.
- ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية –الشيخ حميد الله، روجعت في المملكة العربية السعودية.
- ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية –دونيس ماسون، مراجعة وتصحيح صبحي الصالح.
- الحيوان : للجاحظ.
- حديث الشعر والنثر : طه حسين.
- دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس.
- الصحاح : الجوهري.
- علم الترجمة : مدخل لغوي، فوزي عطية.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
- فن ترجمة الأدب : محمد عبدالغني حسن.
- فن الترجمة الأدبية : محمد عبداللطيف هريدي.
- القاموس المحيط : الفيروزآبادي.

- لسان العرب : ابن منظور.
- ملاحظات حول ترجمة القرآن : منشور في مجلة ترجمان.مجلد٨، عدد٢، اكتوبر ١٩٩٩م.
- معجم متن اللغة : أحمد رضا.
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية.

- LEXICON UNIVERSAL ENCYCLOPADEDIA
- ENCYCLOPADEDIA LAROUSSE

فهرس الموضوعات